بسم الله الرحمن الرحيم

جامعـــة أم القرى

كلية التربية بمكة المكرمة

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

نموذج رقم (٨)

اجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية

بعد اجراء التعديلات المطلوبة

الاسم رباعي : فايزة عطا الله محمد آل عبدالله **الكلية :** التربية **القسم :** التربية الإسلامية والمقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير **التخصص :** تربية إسلامية

عنوان الاطروحة : الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي

في كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

فبناء على توصية اللجنة المكونـة لمناقشة الاطروحـة المذكورة عاليه والتى تمت مناقشتها بتاريخ : ١٤١٦/١١/٨هـ بقبول الاطروحة بعد اجـراء التعديـلات المطلوبـة ، وحيـث قد تم عمل اللازم ٠

فان اللجنة توصي باجازة الاطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ،، والله الموفـق ،،،،٠

أعضـاء اللجنـة

المشـــرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسـم : د. أفكار محمد الحسن سالم	د. محمد جميل بن على خياط	د. عبدالرزاق أحمد ظفر
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد رئيس قسم التربية الإسلامية

د. حامد سالم عايض الحربي

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة ام القرى
عمادة الدراسات الجامعية للطالبات
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

١٢٩٠٠٠

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٥٠٥

الفكر التربوي
عند برهان الدين الزرنوجي
في كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم »

إعداد
فايزة عطا الله محمد آل عبدالله

بإشراف الدكتوره
أفكار محمد الحسن

دراسة تكميلية لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة
مقدمة في كلية التربية بجامعة أم القرى

الفصل الدراسي الثاني
١٤١٦هـ

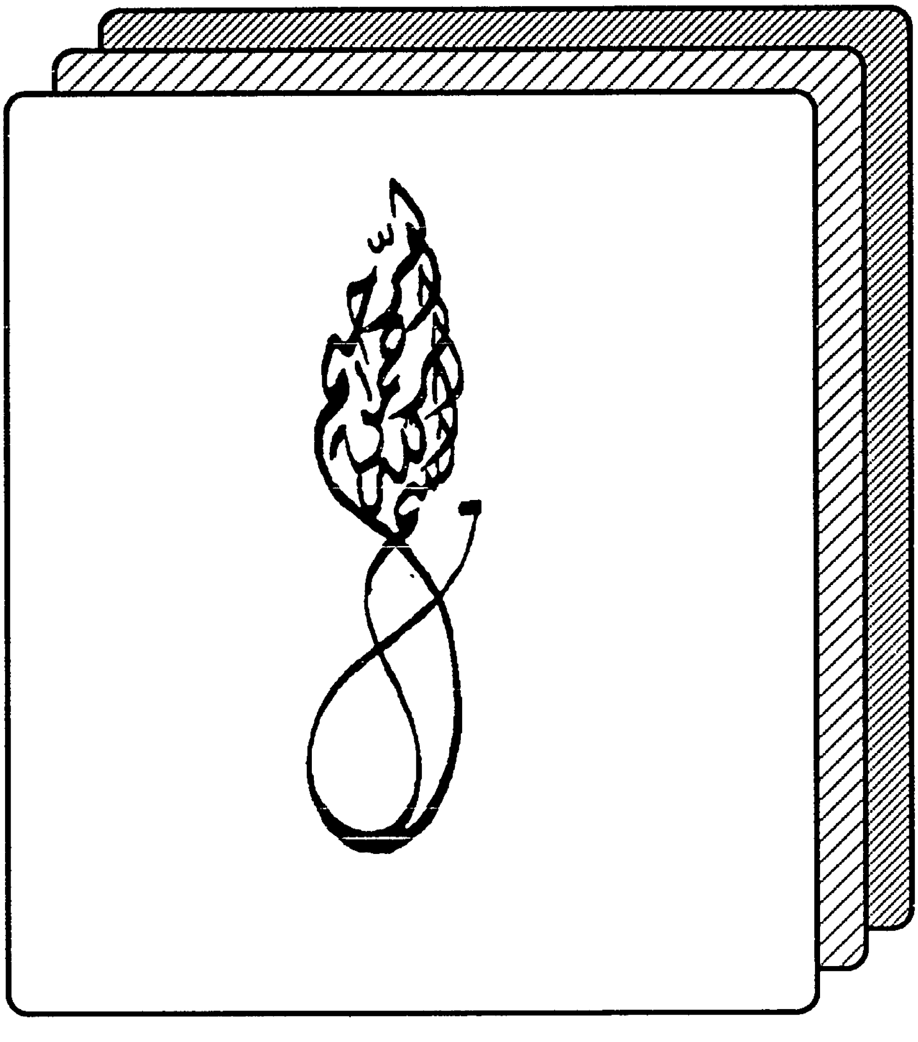

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في محكم تنزيله :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا * وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

« سورة الأعراف ، آية : ٤٣ »

ملخص الرسالة

عنوان الدراسة : « الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي في كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » .

اسم الباحثة : فايزة عطا الله محمد آل عبدالله .

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة إلى التعرف على الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي من خلال كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » وتحقيقاً لذلك حاولت الباحثة الإجابة على السؤالين التاليين :

١ ـ ما الفكر التربوي الذي يقدمه الزرنوجي في كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » ؟

٢ ـ ما مدى ملاءمة الفكر التربوي لبعض التربويين المحدثين مع الفكر التربوي لبرهان الدين الزرنوجي ؟

واستخدمت الباحثة في الدراسة منهجين من مناهج البحث هما :

المنهج التحليلي الاستدلالي : الذي يعتمد على قراءة النصوص وتحليل ما جاء فيها على حسب الضرورة لإبراز الفكر التربوي الذي تضمنه كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » ثم مقارنته بآراء بعض التربويين المحدثين . كما استخدمت الباحثة المنهج التاريخي وقد قُسمت هذه الدراسة إلى خمسة فصول رئيسية هي :

الفصل الأول : وقد اشتمل على المقدمة ، الإحساس بالموضوع ، وتحديده وأهميته وأهدافه ومنهجه والدراسات السابقة .

الفصل الثاني : نبذه مختصرة عن عصر وحياة برهان الدين الزرنوجي .

الفصل الثالث : الفكر التربوي في كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » :

أولاً : لمحة عن كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » .

ثانياً : أهمية العلم عند الزرنوجي .

ثالثاً : الفكر التربوي عند الزرنوجي .

الفصل الرابع : آداب المعلم والمتعلم عند برهان الدين الزرنوجي :

أولاً : آداب تختص بالمعلم .

ثانياً : آداب تختص بالمتعلم .

ثالثاً : المنهاج عند برهان الدين الزرنوجي .

الفصل الخامس : أولاً : أ ـ أهم طرق وأساليب التعلم عند الزرنوجي . ب ـ شروط التعلم عند الزرنوجي .

جـ ـ الأسباب المعينة على الحفظ والأسباب المؤدية للنسيان .

ثانياً : موقع التربية الحديثة من الفكر التربوي عند الزرنوجي :

أ ـ آراء بعض علماء التربية الحديثة . ب ـ مقارنة بعض آراء علماء التربية الحديثة بآراء الزرنوجي .

وتوجز الباحثة أهم ما توصلت إليه الدراسة بما يلي :

١ ـ كتاب الزرنوجي « تعليم المتعلم طريق التعلم » عرف في أوروبا واشتهر وقد تأثرت به تأثيراً مباشراً خاصةً في أوائل القرن العشرين والدليل على ذلك بعض الدراسات النفسية التي تأثرت به خاصةً فيما يتعلق بدراسة ظاهرة النسيان للعالم « انبج هاوس » .

٢ ـ اشتمل كتاب الزرنوجي على مبادىء وأساليب تربوية عديدة منها وجوب اخلاص النية لله والتعلم المستمر . والزامية التعليم ، وحرية المتعلم ، وإختيار المعلم ، والمشاورة ، والتدرج في التدريس ومراعاة الفروق الفردية ، والتأمل والفهم ، والعلاقة بين المعلم والمتعلم ، والرحلة في طلب العلم .

٣ ـ تتفق المبادىء والأساليب التربوية الحديثة مع كثير من المبادىء والأساليب التربوية أعلاه عند الزرنوجي .

٤ ـ إن أساس الفكر التربوي عند الزرنوجي ديني بعكس أساسيات التربية الحديثة .

أما أهم التوصيات التي توصي بها الباحثة فهي كما يلي :

١ ـ العمل المستمر على البحث في الفكر التربوي الإسلامي ومحاولة إبرازه وإثبات هويته عن طريق توضيحه وتخليصه من الشوائب .

٢ ـ ربط الفكر التربوي الإسلامي بالأصول الإسلامية للتربية التي تشكل القاعدة السليمة لبناء الشخصية المسلمة .

٣ ـ إجراء دراسات تربوية مقارنة بين إتجاه علماء المسلمين وبين إتجاهات التربية الحديثة تدعيماً لعملية التأصيل للفكر التربوي الإسلامي .

عميد الكلية	المشرفة	الباحثة
عبدالعزيز عبدالله الخياط	د. أفكار محمد الحسن	فايزة عطا الله محمد آل عبدالله

إهداء

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها إلى والدتي الحبيبة شفاها الله .

إلى والدي الكريم الذي لم يدخر جهداً في إسعادي ومساعدتي أطال الله عمره في طاعته .

إلى زهور حياتي وعبيرها إلى إخواني واخواتي .

أُهدي هذا الجهد المتواضع ...،

الباحثة

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل أولاً وأخيراً على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم .

ثم أوجه الشكر الجزيل والعميق والتقدير والعرفان إلى مشرفتي الفاضلة الدكتورة / أفكار محمد الحسن التي استنرت بتوجيهاتها وملاحظاتها فجزاها الله عني خير الجزاء .

وأتقدم بالشكر للدكتورين الفاضلين : الدكتور / عبدالرزاق ظفر المناقش الخارجي ، والدكتور / محمد جميل خياط المناقش الداخلي اللذان استفدت من ملاحظتهم وتوجيهاتهم فجزاهم الله خيراً وجعله في ميزان حسناتهم .

كما أشكر كل من ساعدني وساهم معي في إخراج هذا البحث ممن قدم مشورة أو أسدى نصحاً أو أعار كتاب أو أبدى ملاحظة .

فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء على ما قدموا وجعل الله ذلك ذخراً لهم في الآخرة .

الباحثة

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص الرسالة	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	جـ
قائمة المحتويات	د
الفصل الأول	
(التمهيدي)	
مقدمة	٢
الإحساس بالموضوع	٣
تحديد موضوع الدراسة	٤
أهمية الدراسة	٤
أهداف الدراسة	٥
منهج الدراسة	٥
الدراسات السابقة	٧
الفصل الثاني	
نبذة مختصرة عن عصره وحياته	
أولاً : عصر برهان الدين الزرنوجي	
ـ الحالة السياسية	١٠
العصر الأول	١١
العصر الثاني	١١
العصر الثالث	١١
العصر الرابع	١٢

قائمة المحتويات

الموضــــوع | رقم الصفحة

الموضــــوع	رقم الصفحة
ـ الحالة الاجتماعية	١٤
١ ـ طبقات المجتمع	١٥
أ ـ الطبقة الخاصة	١٥
ب ـ الطبقة العامة	١٥
جـ ـ أهل الذِمَّة	١٦
د ـ الرقيق	١٦
٢ ـ الحياة المعيشية	١٧
ـ الحالة العلمية	١٨
ثانياً : دراسة موجزة عن ترجمة برهان الدين الزرنوجي :	
ـ اسمه ونسبه	٢٣
ـ ولادته ووفاته	٢٥
ـ نشأته	٢٥
ـ ثقافته	٢٦
ـ شخصيته	٢٧
ـ شيوخه	٢٧
ـ مؤلفاته	٢٩
الفصل الثالث	
الفكر التربوي في كتاب « تعلم المتعلم طريق التعلم »	
أولاً : لمحة عن كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » :	
ـ الهدف من تأليف الكتاب	٣١
ـ وصف الكتاب	٣١
ـ أهمية الكتاب وقيمته	٣١

قائمة المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحة
ثانياً : أهمية العلم عند الزرنوجي :	
ـ وسيلة للتقوى	٣٧
ـ وسيلة لتعلم الفضائل الأخلاقية وترك الرذائل	٣٧
ـ وسيلة إلى المعارف الدنيوية	٤٢
ثالثاً : الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي :	
ـ التعلم المستمر وإخلاص النية لله	٤٣
ـ إلزامية التعلم	٤٣
ـ الاختيار (الحرية)	٤٤
ـ المشاورة	٤٤
ـ التدرج	٤٥
ـ مراعاة الفروق الفردية	٤٦
ـ التأمل والفهم	٤٧
ـ التكرار	٤٧
ـ الإتصال بمصادر العلوم	٤٨
الفصل الرابع	
آداب العالم والمتعلم عند برهان الدين الزرنوجي	
أولاً : آداب تختص بالمعلم :	
١ ـ آداب تهتم بشخصية المعلم	٥١
أ ـ المظهر اللائق	٥١
ب ـ العلم والورع	٥١
جـ ـ التواضـع	٥٣
د ـ الحلم والصبر	٥٤

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
٢ ـ آداب تختص بأداء المعلم	٥٥
أ ـ إرشاد المتعلم وتوجيهه إلى العلوم المناسبة	٥٥
ب ـ مراعاة التدرج والفروق الفردية	٥٦
جـ ـ الشفقة والنصيحة	٥٧
ثانياً : آداب المتعلم :	
١ ـ آداب المتعلم مع ربه	٥٨
ـ النيـة	٥٩
ـ التوكـل	٦٠
ـ الـورع	٦١
ـ الإكثار من الصلاة والسنن	٦٢
ـ الشكـر والذكر	٦٢
ـ الدعـاء	٦٤
٢ ـ آداب المتعلم مع نفسه	٦٥
ـ شغل النفس بأعمال الخير	٦٥
ـ الاحتراز من الأخلاق الذميمة	٦٦
ـ تقليل العلائق الدنيوية	٦٧
ـ ألاّ يجهد نفسه حتى لا ينقطع عن العمل	٦٤
٣ ـ آداب المتعلم مع غيره	٦٩
ـ آدابه مع المعلم	٦٩
ـ آدابه مع الشريك	٦٩
ثالثاً : المنهاج عند برهان الدين الزرنوجي :	
ـ علم الحـال	٧١
ـ علم بعض الأحايين	٧٢

قائمة المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحة

الفصل الخامس

أولاً :

أ ـ أهم طرق وأساليب التعلم عند الزرنوجي : ٧٦

ـ المناظرة والمطارحة والمذاكرة والسؤال ٧٦

ـ الفهم والتأمل والتفكير والتكرار ٨١

ـ الرحلة في طلب العلم ٨٤

ـ الكتابـة ٨٥

ب ـ شروط التعلم عند برهان الدين الزرنوجي : ٨٦

ـ تعظيم العلم وأهله ٨٨

ـ إختيار العلم والاستاذ والشريك ٩٠

ـ الجد والمواظبة والهمة العالية ٩٦

ـ الصـبر ٩٧

ـ وقت التحصيل ٩٨

ـ اقتران العلم بالعمل ١٠٠

جـ ـ الأسباب المعينة على الحفظ والأسباب المؤدية للنسيان ١٠٢

١ ـ الأسباب المعينة على الحفظ ١٠٢

ـ أسباب نفسية ١٠٢

ـ أسباب جسمية ١٠٢

٢ ـ الأسباب المؤدية للنسيان ١٠٣

ـ أسباب نفسية ١٠٤

ـ أسباب جسمية ١٠٤

قائمة المحتويات

الموضـــوع | رقم الصفحة

ثانياً : موقع التربية الحديثة من الفكر التربوي عند الزرنوجي :
أ ـ آراء بعض علماء التربية الحديثة ١٠٦
ـ جوهان بستالوتزي ١٠٦
ـ ماريا منتسوري ١٠٨
ـ جون ديوي ١١٠
ب ـ مقارنة بعض آراء علماء التربية الحديثة بآراء الزرنوجي ١١٣
ـ الخاتمة ١٢١
ـ التوصيات ١٢٥
ـ قائمة المراجع ١٢٧

الفصل الأول

- المقدمة .
- الإحساس بالموضوع .
- تحديد موضوع الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- منهج الدراسة .
- الدراسات السابقة .

المقدمـــة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن والاه إلى يوم الدين .

عملية البناء الحضاري لأي أمة من الأمم تتصل اتصالاً وثيقاً بالنظام التربوي الذي يطبقه المجتمع . وبالرغم من الاختلاف بين علماء التربية حول تعريف التربية وتحديد أهدافها في المجتمع ؛ فإنهم متفقون على أن لها أثراً كبيراً في تشكيل الحياة الاجتماعية والسلوك الإنساني للأفراد وفق مباديء وعقيدة المجتمع الذي يوجهها وقد قال أبو الحسن الندوي في ذلك « كما أن للجسم روح وضمير فإن النظام التربوي له روح وضمير ، وروحه وضميره هو ظل لعقائد واضعيه » (الندوي ، د. ت ، ص ٢٦) . وقد أشار الرسول الكريم ﷺ إلى أثر التربية الهام في تنشئة الفرد منذ ولادته ، وتنميته ، وتشكيل سلوكه واتجاهاته بما يتفق ومباديء عقيدة الأمة ، حيث قال عليه السلام : « ما من مولود إلاَّ ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمه بهيمه جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » رواه مسلم . (مسلم ، كتاب القدرة ح ١٦ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٤٤٦)

فالاستقامة على الفطرة أو الخروج عليها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأولى مراحل التربية للفرد ، وهي التربية التي ينتهجها الأبوان لأبنائهم . وكان أمر الله سبحانه وتعالى لعباده أن يعملوا على تربية أنفسهم وأهلهم ويقيموا أمر الله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ . « سورة التحريم ، آية : ٦ »

وعمل التربية الهام يستهدف أيضاً الحفاظ على الشخصية الحضارية للمجتمع المسلم ومعتقداته ، والعمل على استمرارها ونقلها للأجيال القادمة .

لذلك كان للتربية الإسلامية التي تقوم على رؤية شاملة ومتكاملة ، والتي تقيم نظام الحياة وفق تشريع الله وحكمه أهمية في صياغة وتشكيل الفرد المسلم والمجتمع المسلم . وهذا كله يدعو للإهتمام والعناية بالفكر الذي يشكل تربية المجتمع المسلم . وهذا الفكر ينبغي أن يتلاءم مع أهداف العقيدة ورسالتها ، وأن يستمد ذلك من الكتاب والسنة ، وأن يسترشد بفكر المربين المسلمين كإطار لتطوره مع طبيعة العصر ومتطلباته . وقد سعى الكثير من علماء المسلمين ومفكريه جاهدين لبلورة معالم الفكر التربوي والإسلامي ، مستندين في ذلك على الكتاب والسنة بإعتبارهما قاعدة أساسية للتربية والتعليم في المجتمع ؛ ومن هؤلاء المفكرين برهان الدين الزرنوجي (٦٢٠هـ) ، وحاولت الباحثة أن تُظهر فكره التربوي من خلال كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » ؛ الذي ترجم إلى اللغة اللاتينية وعدد من اللغات الأجنبية مثل الألمانية والإنجليزية ، لما يحمله هذا الكتاب من قيم تربوية مفيدة .

(عثمان ، من اعلام التربية العربية الإسلامية ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٨٠ ـ ١٨٢)

الإحساس بالموضوع :

إنَّ لكل مجتمع من المجتمعات قواعد تربوية تسعى لتحقيق أهدافه ، وهذا ما ينطبق على المجتمع المسلم ذي الرسالة السامية . ولكن هذا لا يعني الانغلاق وعدم الاستفادة من النظم الأخرى ، بشرط أن لا تتعارض هذه الاستفادة مع العقيدة ، المهم أن يؤكد المجتمع فكره الأصيل ؛ وأن لا يتهافت وراء الفكر التربوي الوافد من المجتمعات ذات الثقافات المغايرة للمجتمع المسلم ، والتى لا يصلح بعضها له أصلاً ، خاصة في هذه المرحلة التي تواجه فيها المجتمعات الإسلامية تحدياً قوياً من الخارج ، والتي تتعالى فيها بعض الأصوات بأنه لا تقدم إلاّ بتبني مناهج الغرب ونظرياته التربوية القاصرة . فأصبح الفكر التربوي الإسلامي المعاصر في معظمه خليطاً من نظريات غريبة عن مبادىء المجتمع

وأهداف عقيدته ؛ بينما كان الفكر التربوي لعلماء السلف المسلمين فكراً مستمداً من مبادىء الدين الإسلامي القويم . ومن هنا كان الإحساس بإمكانية الإفادة من فكرنا التربوي الموروث في تنوير بصيرتنا بإصالته . وقد وقع إختيار الباحثة على دراسة الفكر التربوي للزرنوجي ؛ الذي أدرك أهمية التربية والتعليم في تماسك الأمة وقوتها ، منذ القرن السادس الهجري . ونادى بتنقية الفكر الإسلامي ؛ وإرجاعه إلى منابعه الأصيلة كتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ .

تحديد موضوع الدراسة :

البحث في التربية الإسلامية يمكن أن يتضمن دراسة مشكلة تربوية أو تحليل تربوي لنصوص الكتاب الكريم أو السنة المطهرة ، أو دراسة فكر الشخصيات الإسلامية التي تمثلت هذه المبادىء ، وهنا يمكن تناول فكر الشخصية ككل ؛ أو تناول جانب من جوانب هذا الفكر .

والمقصود بالفكر التربوي للشخصية ، مجموعة المبادىء والقواعد التي توجه سائر النشاطات التربوية بقصد تنمية ملكات المتعلمين ؛ وتنشئتهم وتكوين شخصياتهم وتقويم سلوكهم في ضوء المبادىء التي تشكل هذا الفكر .

(القاضي، ١٩٩٠م ، ص ١٤٠ ـ ١٤١)

وفكر الزرنوجي عُنِي بأهمية التربية الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة في المجتمع المسلم ، وسعى إلى تأكيد الجوانب الأخلاقية التي تؤدي إلى تحصيل العلم وتحقيق شرائط التربية . لذا سوف تركز هذه الدراسة بصورة أساسية على معرفة الفكر التربوي لبرهان الدين الزرنوجي ، من خلال كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » .

أهمية الدراسة :

بما أن التربية مهمة في بناء الأجيال ، فنحن بحاجة لتأصيل التربية وبنائها على أساس متين وثابت مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ حتى يمكن إيجاد أجيال تقوم بالمطلوب منها تجاه خالقها وأمتها ومجتمعها .

ومن ثم تأتي أهمية الموضوع بناء على ما يلي :

١ ـ قد تسهم الدراسة في تأصيل التربية الإسلامية بتجلية الفكر التربوي الإسلامي للمسلمين .

٢ ـ قد تبين الدراسة المكانة التربوية والتعليمية لكتاب برهان الدين الزرنوجي « تعليم المتعلم طريق التعلم » .

٣ ـ قد يفيد التعرف على القواعد والمبادىء التربوية الإسلامية الخاصة بطريق التعلم المتعلمين والقائمين على عملية التعلم في مدارسنا .

أهداف الدراسة وأسئلتها :

تهدف الدراسة أساساً إلى التعرف على الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي من خلال كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » وتحقيقاً لذلك حاولت الباحثة الاجابة على السؤالين التاليين :

١ ـ ما الفكر التربوي الذي يقدمه الزرنوجي في كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » ؟

٢ ـ ما مدى ملاءمة الفكر التربوي لبعض التربويين المحدثين مع الفكر التربوي للزرنوجي ؟

منهج الدراسة :

تقتضي طبيعة الدراسة الحالية استخدام منهجين من مناهج البحث وهما :

١ ـ المنهج التحليلي الاستدلالي :

يعتمد هذا المنهج على قراءة النصوص والتعرف على عناصرها ومكوناتها ، ثم استنباط القواعد منها .

(الميداني ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، ص ١٤٠ ـ ١٤١)

٢ ـ المنهج التاريخي :

وهذا المنهج يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ؛ ولا يقف عند مجرد الوصف ؛ وإنما يدرس هذه الوقائع ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية دقيقة ؛ بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعدنا على فهم الماضي فحسب ، وإنما تساعدنا أيضاً في فهم الحاضر بل والتنبؤ بالمستقبل . (جابر وكاظم ، ١٩٨٧م ، ص ١٠٤)

واستخدمت الباحثة المنهج التحليلي الاستدلالي القائم على قراءة النص « تعليم المتعلم طريق التعلم » ، وتحليل ما جاء فيه حسب الضرورة ، وذلك لإبراز المبادىء التربوية التي يتضمنها فكر الزرنوجي وتوضيحها ؛ ثم مقارنة بعضها بآراء بعض العلماء المحدثين .

الدراسات السابقة :

لم تجد الباحثة دراسة علمية للفكر التربوي لهذه الشخصية ؛ وتأكدت من ذلك عن طريق الاتصال بالمراكز العلمية الموجودة في المملكة العربية السعودية ، ولكن توجد بعض المؤلفات منها :

١ ـ كتاب " تعليم المتعلم طريق التعلم " . تحقيق ودراسة محمد عبدالقادر أحمد (١٤٠٦هـ) وهو يهدف إلى تحقيق ودراسة كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » للإمام برهان الدين الزرنوجي . وقد تناول الباحث في كتابه بعد المقدمة دراسة عن ترجمة الإمام برهان الدين الزرنوجي ؛ التى اشتملت على اسمه وجنسيته ومذهبه ونشأته وحياته ، وثقافته ، وشيوخه ومعاصريه ومؤلفاته وعصره ؛ ثم كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم " وقيمته ، ؛ ثم بعد ذلك تناول مخطوطات الكتاب ؛ ثم تعرض إلى التعليم الإسلامي في عصر الزرنوجي . كما تحدث عن النسخ التى اعتمد عليها المحقق للتعرف على متن كتاب " تعليم المتعلم طريق التعلم " .

ويختلف هدف موضوع الدراسة الحالية عن هدف موضوع دراسة محمد عبدالقادر أحمد في أن الباحثة تسعى إلى التركيز على معرفة فكر برهان الدين الزرنوجي التربوي كما جاءت في كتابه ؛ ومدى ملاءمة الفكر التربوي الحديث مع ما جاء في فكره التربوي . بينما هدف محمد عبدالقادر إلى تحقيق مخطوطة " تعليم المتعلم طريق التعلم " بصورة أساسية لبيان إعتزازه بالحضارة الإسلامية .

٢ ـ الكتاب الثاني دراسة وتحقيق قام بها مصطفى عاشور (١٣٨٦هـ) لمخطوطة برهان الدين الزرنوجي " تعليم المتعلم طريق التعلم " .

وقد هدف المحقق إلى تحقيق المخطوطة بصورة أساسية ، ويختلف في هذا مع الدراسة الحالية التي تهدف إلى التركيز على معرفة فكر برهان الدين الزرنوجي التربوي ، ومدى ملاءمة الفكر التربوي الحديث لبعض ما جاء في الفكر التربوي عند الزرنوجي .

٣ـ الكتاب الثالث لسيد أحمد عثمان (١٣٩٧هـ) التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي . وقد تناول المؤلف في كتابه بعد المقدمة « العلم استمرار » وكتاب برهان الدين الزرنوجي ؛ ثم قام بتحليل التعلم عند الزرنوجي ، ثم تطرق إلى عناصر نسق التعلم عند الزرنوجي التأهب ، أدب النفس ، الدافعية ، الإختيار ، الأنشطة ، الحفظ ، النسيان ، صحة البدن والتعلم ، وأخيراً اجتماعية التعلم .

ونجد أن الدراسة الحالية تهدف كما ذكرنا آنفاً إلى التركيز على معرفة فكر برهان الدين الزرنوجي التربوي كما جاءت في كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم " .

أما بالنسبة لكاتب الكتاب فهو يدعو إلى الإهتمام بتصحيح اتجاهنا نحو ثقافتنا الإسلامية ، لأن ذلك يحدد مكاننا ودورنا نحو ذاتنا وعالمنا وما يتوقع منا في المستقبل .

٤ ـ الكتاب الرابع : لمروان قباني (١٤٠١هـ) تحقيق « كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم » لبرهان الإسلام الزرنوجي . وقد تناول فيه المحقق في المقدمة نظرة في التربية الإسلامية ثم التعريف بالمؤلف برهان الإسلام ثم تناول عصره ، ثم تقريب الكتاب ، والإهتمام بالكتاب . وصف الأصول وكيفية تحقيقه .. كما تناول فاتحة الكتاب وغايته ثم فصول الكتاب وهدف المحقق الأساسي هنا هو تحقيق مخطوطة كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » بينما الدراسة الحالية تهدف إلى التركيز على معرفة فكر برهان الدين الزرنوجي من خلال كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم» ومدى ملاءمة الفكر التربوي الحديث مع فكر برهان الدين الزرنوجي .

الفصل الثاني

نبذه عن عصر برهان الدين الزرنوجي وحياته

أولاً : عصر برهان الدين الزرنوجي :

- الحالة السياسية :

العصر الأول ـ العصر الثاني ـ العصر الثالث ـ العصر الرابع .

- الحالة الاجتماعية :

١ ـ طبقات المجتمع .

أ ـ الطبقة الخاصة .

ب ـ الطبقة العامـة .

جـ ـ أهل الذِمَّة .

د ـ الرقـيق .

٢ ـ الحياة المعيشية .

- الحالة العلمية .

ثانياً : دراسة موجزة عن ترجمة برهان الدين الزرنوجي :

- اسمه ونسبه .
- ولادته ووفاته .
- نشأتـه .
- ثقافـته .
- شخصيته .
- شيوخـه .
- مؤلفاتـه .

أولاً : عصر برهان الدين الزرنوجي :

أي باحث إذا أراد دراسة حياة علم من الأعلام أو فكره التربوي ، فلابد له من دراسة العصر الذي عاش فيه هذا العالم ، ومعرفة البيئة التي نشأ فيها وأحاطت به ، والأحداث السياسية التي من دأبها التأثير في حياة الناس عامة وفي فكر المفكرين خاصة ، والإلمام بالظواهر الاجتماعية البارزة التي يعكسها المجتمع على أفراده ، ودراسة الحركة العلمية السائدة في عصره من جميع نواحيها ومناهجها .

وبرهان الدين الزرنوجي عاش في القرن السادس الهجري ، الذي تميز بأحداث جسام ومظاهر اجتماعية بارزة من فتن وحروب وقلاقل ، أدت إلى ضعف وتمزق كيان الأمة الإسلامية ولكن رغم ذلك فقد صاحب هذا العصر حياة علمية زاهية .

وستتعرض الباحثة هنا للظواهر السياسية والاجتماعية والعلمية بشيء من الإيجاز ، إذ إن المجال هنا ليس مجال التفصيل فيها :

الحالة السياسية في القرن السادس الهجري :

بعد مقتل آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد في عام ١٣٢هـ ، تسلم بنو العباس الخلافة ، وامتد حكمهم أكثر من خمسة قرون ، كانت تعتبر من العصور الذهبية للخلافة الإسلامية علماً وحضارة وإنتاجاً وعطاءً ؛ إلا أنها في الوقت ذاته تميزت بتغيرات سياسية جسيمة ، إذ إن الأمة الإسلامية خلال فترة حكم العباسيين تعرضت لحدثين زلزلا كيان الخلافة . أولهما الغزو الصليبي للثغور الإسلامية في بلاد الشام عامة وفي بيت المقدس خاصة . وقد امتد قرابة قرنين ؛ كانت النتيجة فيهما اندحار الصليبيين وهزيمتهم شر هزيمة . أما الحدث الثاني فهو الغزو المغولي الذي قضى على الخلافة العباسية في بغداد ، وطمس معالم الحضارة ، ودمر منائر الثقافة ، وقوّض صروح ومعاهد العلم الغاصة بمختلف صنوف المؤلفات والموسوعات والمجلدات . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ١٩)

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك أحداث أخرى غير هذين الحدثين ، فقد امتازت هذه الفترة الطويلة بتغيرات سياسية متعددة لم تكن ذات طابع سياسي واحد ، بل كانت تقل وتكثر تبعاً لقوة الخليفة وضعفه ، ومدى قدرته على السيطرة على أمور الدولة ؛ ومدى انصرافه عن تصريف شئونها أو سيطرته على رقعتها المترامية الأطراف ، ومقدرته على السيطرة على رجال السياسة . وقد قسم بعض المؤرخين العصر العباسي إلى أربعة عصور تاريخية ، احتوى كل منها على أحداث سياسية بارزة ، ميزت كل عصر عن سابقه وذلك على النحو التالي :

العصر الأول :

ويبدأ من سنة ١٣٢هـ بتسليم أبي العباس السفاح أمور الدولة ، وقد استمر قرنا من الزمان حتى خلافة المتوكل ، التي ابتدأت سنة ٢٣٢هـ . ويعتبر هذا العصر الذهبي للخلافة الإسلامية من حيث هيمنة الخلفاء ، وحسن تصريفهم للأمور ، وتسيير دفة الحكم دون استكانة أو ضعف أو تبعية من قبل الخلفاء لغيرهم من القواد ، أو كما حدث في العصور التالية .

العصر الثاني :

ويبدأ من سنة ٢٣٢هـ بتولي المتوكل أمور الخلافة ، وينتهي سنة ٣٣٤هـ بإبتداء العصر البويهي . وقد تميز هذا العصر بسيطرة الأتراك على شئون الدولة وهم الأتراك الذين أحضرهم المعتصم ، وأسكنهم بغداد ؛ ومن ثم أخرجهم منها بعد أن ضاق الناس بهم ذرعا ، وبنى لهم مدينة « سُرَّ مَنْ رَأَي » التى سميت فيما بعد (سامّراء) .

العصر الثالث :

ويسمى العصر البُويهي ، ويبدأ سنة ٣٣٤هـ وينتهي سنة ٤٤٧هـ ، وهي الفترة التي استولى فيها البويهيون على أمور الدولة ، فخلعوا من خلعوا فيها من الخلفاء ، وثّبتوا مَنْ ثّبتوا . ويعتبر بعض المؤرخين هذا العصر من أسوأ العصور بالنسبة للخلافة العباسية .

جامعة أم القرى مكة المكرمة - عمادة شؤون المكتبات - المكتبة المركزية بمكة المكرمة - الإهداء والتبادل - UMM AL-QURA UNIVERSITY

العصر الرابع :

ويسمى العصر السلجوقي ، ويبدأ من قيام الدولة السلجوقية وتسلمها أمور الحكم خلال الفترة من سنة ٤٤٧هـ إلى سنة ٦٥٦هـ ، وهي السنة التي استولى فيها المغول على معظم البلاد الإسلامية .

وتجدر الإشارة إلى أن العصر السلجوقي لم يغط كل تلك الفترة المشار إليها ، ذلك أن الخلفاء المتأخرين من بني العباس استطاعوا أن يعيدوا للخلافة عزها وهيبتها ، وهذا يجعلنا نحدد العصر السلجوقي بفترة أقل . والعصر الرابع هذا هو الذي يهمنا أكثر من غيره ؛ لأنه هو العصر الذي عاش فيه برهان الدين الزرنوجي .

والسلاجقة قوم من الأتراك أمسكوا بالسلطة الحقيقية في بغداد دون الخلفاء ، الذين لم يكن بأيديهم غير السلطة الدينية ؛ التي كانوا يمارسونها في المناسبات والأعياد ، وذلك للمنصب الذي يمثلونه ألا وهو الخلافة الإسلامية إلا أن حال الخلفاء مع السلاجقة كان أفضل شأناً من علاقتهم بسابقيهم من البويهيين ، الذين كثيراً ما حاولوا عدم توقير الخلفاء. ويرجع السبب في ذلك إلى أن السلاجقة كانوا يدينون بالاحترام الديني للخلفاء العباسيين ، ويبدون لهم من مظاهر التعظيم ما يليق بمنصبهم الديني . (شاكر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٢١٥)

ولقد استردت بغداد كثيراً من هيبتها في هذا العصر ، باعتبارها العاصمة التي يقيم فيها الخليفة بسلطانه الديني . واعتنق السلاجقة مذهب أهل السنة ، وكان لهذا الاعتناق أثره الكبير في ضبط أمور الدولة ، ومحاولة توحيد أصقاعها ، ولَمِّ شعثها واستطاع السلاجقة الوقوف في وجه التيار الشيعي الذي تمثله الدولة الفاطمية في مصر ؛ والتي حاولت مد نفوذها إلى بلاد الشام ، ولذلك فقد بعث السلطان ملكشاه أول سلاطين السلاجقة في بغداد القائد (طغرل بك) على رأس الجيش إلى الشام ؛ حيث تمكن من فتح الرملة والقدس وضمها إلى الخلافة في بغداد . ولم يتمكن من فتح دمشق هذه المرة فعاد إليها السلاجقة مرة أخرى ، واستولوا عليها ، وضموها إلى حوزة الخلافة . وقد سير السلاجقة بعد ذلك جيوشاً

إلى مصر أكثر من مرة ، واستطاع بعضهم دخولها سنة ٤٧٠هـ . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٤٥٨)

ولم تدم سيطرة السلاجقة على أمور الحكم طويلاً ، فقد تنازع سلاطينهم فيما بينهم ، وسادت الصراعات ، مما أتاح الفرصة للخليفة في بغداد أن يحاول إعادة سيطرته على شئون الحكم ، مما دفع السلطان مسعود السلجوقي لمحاصرة مدينة بغداد ، إلا أنه لم يتمكن من فتحها وعاد مخذولاً في عهد المُقْتَدِى والمُستَرْشِد . وبموت السلطان مسعود السلجوقي ، آخر سلاطين السلاجقة ، انتهى العهد السلجوقي في عام ٥٤٧هـ ، وقسمت الدولة السلجوقية إلى دويلات سميت بدول الأتابكة . (الأصفهاني ، ١٩٧٨م ، ص ٢٠٨)

وهكذا حفز الصراع بين السلاجقة أنفسهم ، الخليفة في بغداد لأن يمسك بزمام الأمور ، ويعلن استقلاله ببغداد وما حولها ، وبذلك بدأ العصر الأخير من عصور الخلافة العباسية ؛ وكان ذلك عام ٥٩٠هـ ، في عهد الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) . (العصامي ، د. ت ، ص ٣٧٨)

وقد استقل هذا الخليفة الذي عرف بالشهامة والإقدام والدهاء بأمور العراق ، وأحيا مراسم الخلافة ، وكان عهده طيبا .

ومن الأحداث الهامة في هذا العصر انحسار الخلافة الإسلامية عن معظم بقاع الأندلس ، حيث انقسمت إلى إمارات متنازعة على السلطة ، بينما وحد الإفرنج جهودهم لاسترجاع الأندلس من أيدي المسلمين إمارة إمارة ، حتى تم لهم ذلك فيما بعد . ومن التغيرات السياسية في هذا العصر سقوط الدولة الفاطمية الشيعية سنة ٥٦٧هـ ، وقيام الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، الذي تحمل مسئولية الدفاع عن الإسلام في بلاد الشام ، خاصة ضد الصليبيين ؛ الذين اجتاحوا كثيراً من الأقطار الإسلامية . فقام صلاح الدين بتوحيد صفوف الأمة الإسلامية ، ووقف في وجه الصليبيين في سنة ٥٨٣هـ في معركة حطين التي لقنهم فيها درساً لا ينسونه . (شاكر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٣٣٢) .

أما أعظم المصائب التي أصابت الأمة الإسلامية فكانت ظهور المغول وقائدهم جنكيز خان ، الذين هاجموا الدولة الإسلامية في بداية القرن السابع الهجري ؛ فاستولوا على المدن ؛ وَخربُّوا ودمَروا البُنيان ؛ وَحرقُوا المكتبات ؛ وقتلوا الأهالي بصورة لم يسبق لها نظير ، فسقط الجزء الشرقي من الدولة . ومن نسل جنكيز خان ظهر هولاكو ، الذي فتح بغداد في عام ٦٥٦هـ ، وقد قوَّضَ عرشاً وضاء من عروش الخلافة ؛ وأطفأ منارة من منائر الحضارة اضطرمت جذوتها أكثر من خمسة قرون . (شاكر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٢٠)

الحالة الاجتماعية :

إن البحث في حياة علم من الأعلام أو جانب من حياته ، يوجب على الباحث أن يلقي الضوء ، ـ كما ذكر سابقاً ـ على الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره ، لأن مظاهر الحياة العامة تنعكس على حياة الفرد الخاصة ؛ إذ هو جزء من المجتمع الذي يعيش فيه ، فتتأثر حياته الخاصة بما يحدث في الحياة الاجتماعية التي تطبع المجتمع بطابع خاص ؛ وتميزه بميزات معينة . وإن كان الإلمام الدقيق بالظواهر الاجتماعية في هذا العصر وتسجيلها أمر شائك فالبقاع التي انسلخت عن جسم الخلافة تعددت وكثرت ، وأصبح لكل بقعة من البقاع في الدولة الإسلامية مناخٍ اجتماعية معينة تميزت وتباينت عن غيرها من الأقطار . كما أن الأجناس التي تسكن هذه البلدان كان يداخلها كثير من الاختلاف والتباين في الميول والأهواء وطريقة المعيشة . وهنالك أيضاً جانب ساعد على اختلاف الناحية الاجتماعية وتباينها ، وهو ضعف الخلفاء وسيطرة الأمراء ، ولئن أدرج هذا الأمر ضمن الناحية السياسية إلا أنه كانت له آثاره الواضحة في الناحية الاجتماعية ، فكل هذه الأمور ساعدت على كثرة الظواهر الاجتماعية في هذا العصر بصورة يصعب معها إحصاؤها بتفصيل في هذا المجال .

أما أهم المظاهر الاجتماعية المميزة لهذا العصر فتكمن ضمن التقسيمات التالية :

١ ـ طبقات المجتمع :

وتقسيم المجتمع إلى طبقات هو أهم مظهر اجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات . وهذا التقسيم أمر لابد منه في شتى العصور ومعظم الدول . وقد انقسم المجتمع الإسلامي في هذا العصر الذي نحن بصدده ـ العصر السلجوقي ـ إلى عدة طبقات يمكن تبيانها كما يلي :

أ ـ الطبقة الخاصة :

وهي طبقة الخليفة وذويه وأقربائه وخاصته . ويأتي ضمن هذه الطبقة رجال الدولة من الأشراف والوزراء والقضاة ، وهؤلاء هم الذين يصرفون أمور الدولة . وقد انضم إلى هذه الطبقة العلماء والأدباء والكتاب والشعراء لما لهم من مكانة ستتضح عند الحديث عن الحركة العلمية .

ب ـ الطبقة العامة :

وتتكون من السواد الأعظم من الناس أهل الحرف والصنائع والتجار والفلاحين والجند . وهذه الطبقة ـ لا سيما في بغداد ـ كانت تؤلف خليطاً من مختلف الجنسيات والعروق ، فقد كان هناك العرب والفرس والترك والنبط والأرمن والأكراد والبربر وغيرهم . وقد انضوت كل تلك الأجناس تحت لواء الإسلام ، وغلب على تسميتها بالعرب لأمرين : الأول غلبة العرب في المجتمع ، بحيث يشكلون نسبة عالية ، والثاني : سيادة اللغة العربية بين تلك الأجناس ؛ لأنها لغة الدين الحنيف ؛ واللغة الرسمية للدولة ؛ ولغة التخاطب في المجتمع ، الأمر الذي دفع تلك الأجناس المتشعبة الألسن لأن تُقبِل على تعلمُّ اللغة العربية وإجادتها . (ابن الجوزي ، ١٣٥٨هـ ، ص ٢٢٨)

جـ ـ أهل الذمّة :

وهم النصارى واليهود الذين بقوا على دينهم ؛ وأصبحوا رعايا في الدولة الإسلامية ، وسموا بأهل الذمة ؛ لأن الذمّة هي العهد الذي بينهم وبين المسلمين ، وهو أن يدفعوا الجزية للمسلمين مقابل حماية الدولة لهم . ويطبق عليهم ما يطبق على المسلمين من التشريعات المدنية والإدارية . ويحل للمسلمين أن يتزوجوا منهم ويأكلوا ذبائحهم . وقد انضم إليهم المجوس ـ عبدة النار ـ الذين عوملوا معاملة أهل الذمّة إلا أن نساءهم لا تُنْكَحْ ، وذبائحهم لا تؤكل من قبل المسلمين .

وكان أهل الذمة يتمتعون بميزة التسامح الديني في الدولة الإسلامية ، فكانت كنائسهم وأديرتهم منتشرة في الدولة الإسلامية . وكانوا يتعاملون مع المسلمين وغيرهم معاملة حسنة ، وكان المسلمون يحترمونهم ، وكثير من الخلفاء كانوا يحضرون مواكبهم وأعيادهم ؛ ويقدمون لهم الهبات والعطايا . إلا أنهم لم تكن لهم أحياء خاصة ، وقد حاولوا إقامة تلك الأحياء إلا أن المسلمين منعوهم من ذلك ، ولم يحدث بينهم وبين المسلمين مصاهرات إلا في القليل النادر . ولم يجز لأحد من اليهود والنصارى أن يبدل دينه إلا إلى الإسلام فقط ، كما أنه لم يجز لليهودي أن يرث النصراني ولا العكس ، ولم يجز كذلك لأى منهما أن يرث المسلم . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٣٩٧)

د ـ الرقيق :

وهم أسرى الحرب الذين يأسرهم المسلمون أثناء الحروب ، وكانوا يؤلفون الأغلبية الساحقة من طبقة الخدم والجواري . وكان الرقيق في الدولة الإسلامية أنواعا متعددة منهم الصقلبي والرومي والزنجي والتركي ، وكان أكثر الرقيق في هذا العصر يجلبون من بلاد ما وراء النهر . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٤٢٥)

هذه هي طبقات المجتمع التي سادت في العصر العباسي لا سيما في العراق ، وعلى الأخص مدينة بغداد . أما بقية أقطار الدولة الإسلامية فقد اختلف الحال فيها بعض الشيء ، ففي عهد الفاطميين تألف المجتمع من طبقتين رئيسيتين هما : طبقة المغاربة الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم ، والطبقة الثانية هي طبقة العامة التي تشكل الأغلبية الساحقه من الناس . وقد وجدت في العهد الفاطمي فئة أخرى من الناس وهم السودانيون الذين كثر عددهم في مصر أيام كافور الإخشيدي ، وقد استعان بهم الحاكم بأمر الله الفاطمي على الأتراك . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٤٢٧)

ونلاحظ في العهد الفاطمي ظاهرة تلفت الانتباه وهي اعتناق عدد كبير من اليهود والنصارى الإسلام ، ودخولهم في المذهب الرسمي للدولة الفاطمية . (المرجع السابق ، ص ٤٢٦)

أما في بلاد المغرب فلم تكن هناك طبقات بارزة لعدم وجود دول في تلك الحقبة من الزمان . فقد عاش في المغرب أجناس مختلفة دون أن يكون لأي جنس تفوق يذكر على الجنس الآخر ، ومنهم العرب والبربر والأكراد .

أما في الأندلس فقد كان العرب والبربر هما الفئتان البارزتان ؛ وقد استطاعوا احتلال مواقع هامة ؛ وتسلموا فيها زمام السلطة . (ابن خلدون ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٢٣٠) ، (شلبي ، ١٩٦٠م ، ص ٢٩)

وهناك أسرى الحرب ، الذين يكونون طبقة الصقالبة ، والذين أسرهم القراصنة من السواحل الأوربية أو من سواحل البحر الأبيض المغربية . أما النصارى منهم فانقسموا إلى فريقين : فريق بقي على دينه ، وتمتع بقسط وافر من التسامح الديني ، وفريق دخل الإسلام ، وعوملوا معاملة حسنة . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٤٢٥) ، (شلبي ، ١٩٦٠م ، ص ٣٠)

٢ ـ الحياة المعيشية :

لقد سبق تقسيم المجتمع في هذا العصر إلى طبقات كان لها تأثيرها الواضح على الحياة المعيشية في المجتمع ، فالطبقة الخاصة كانت تتمتع بالثراء ؛

وتمتاز بحياة معيشية ذات مستوى عال . أما طبقة العامة فكانت تعاني غالباً من الفقر والفاقة . وقد انتشرت عادة إقطاع الأراضي لقواد الدولة والبارزين فيها بدلاً من رواتبهم . وكان أول من فعل ذلك هو نظام الملك ، ونتيجة لذلك سرت الفوضى والتفكك داخل الدولة ، حيث كانت هذه الإقطاعات بداية لما عرف فيما بعد بإمارات الأتابكة ، ولم يكن هناك خطر من هذه الإقطاعيات أبان قوة الدولة ، ولكن ما إن ضعفت سلطتها حتى نصب كل مالك للإقطاعية نفسه سيداً أو أميراً ، واستقل بسلطته وإقطاعيته عن سلطان الدولة. (الأصفهاني ، ١٩٧٨م، ص ١٨٧) ، (شلبي ، ١٩٦٠م ، ص ٤٣٦)

وقد انعكس هذا على الناس انعكاساً سيئاً ، فقد انتشرت المجاعات في بغداد أكثر من مرة ، إلا أن هذا الأمر لم يُسد في كل عصور الخلافة العباسية ، بل تميزت عهود بعض الخلفاء كالمستضيء بنور الله (٥٦٦ ـ ٥٧٥هـ) والناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) بالأمن والرخاء والاستقرار . (شلبي ، ١٩٦٠م ، ص ٤٥٠)

ويدخل تحت الحياة المعيشية الطعام وصنوفه ؛ فقد اهتم العباسيون في هذا العصر بطهي الطعام وترتيبه وتصنيفه وكثرة صنوفه وأنواعه ؛ وقد كان للأغنياء طعام خاص بهم ، وللفقراء طعامهم .

ويلحق بالحياة المعيشية الملابس . فكان للزهاد الملابس الخشنة البالية الممزقة ؛ والفلاحون يلبسون الملابس السميكة من القطن ، أما الأغنياء فكانت ملابسهم من الابريسم (الحرير) ؛ وكانوا يلبسون الجوارب والنعل . (المرجع السابق ، ص ٤٥٠)

الحالة العلمية :

إن الازدهار العلمي الذي اكتنف الأمة الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري والقرون التي تلته كان ازدهاراً ليس له سابقة في عصور التاريخ ، فالأمة الإسلامية أنعم الله عليها بالإسلام ؛ الذي جعل منها أمة فكرية واعية ، وكان عطاؤها مذهلاً يتمثل في التراث الضخم الذي خلفه المسلمون من مؤلفات

ومصنفات وموسوعات ؛ زخرت بها المكتبات الإسلامية ؛ ومخطوطات غصت بها دور الكتب العالمية في الشرق والغرب . إن الأمة في العصر العباسي خطت خطوات واسعة في حياتها العلمية والعقلية ، وقطعت شوطاً بعيداً في ازدهارها العلمي ، واجتازت مراحل شاسعة في تفوقها الحضاري . وقد قفز المجتمع الإسلامي قفزة رائعة في شتى صنوف العلم ووثب وثبة هائلة في أكثر ضروب المعرفة ، وغدت العلوم والمعارف بأنواعها وصنوفها في متناول جميع الناس عامتهم وخاصتهم (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٣٢٢) ، وفي هذا الصدد ينقل لنا حسن إبراهيم حسن نصاً لأحد المستشرقين عن العصر العباسي جاء فيه :

« ويقول الأستاذ نيكلسون وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية ؛ لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى لقد غدا الناس جميعاً من الخليفة إلى أقل أفراد العامة شأناً غدوا فجأة طلاباً للعلم أو على الأقل انصاراً للأدب . وفي عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعياً إلى موارد العلم والعرفان ؛ ليعودوا إلى بلادهم كالنحل ؛ يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ المتلهفين ، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه شيء بدوائر المعارف ؛ والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل » . (المرجع السابق ، ص٣٢٥)

كان هذا واقع المجتمع الإسلامي كما صوره « نيكلسون » حلقات هنا وهناك ؛ ومجالس في كل مكان ؛ ومناظرات في المساجد ؛ ومجادلات في دور الخلافة وقصور الأمراء والولاة ، فتارة تصنيف وتأليف ونسخ ، وتارة نقل وترجمة ، وتارة رحلات وعمل دؤوب وهمم لا تعرف الكلل .

كل هذا الازدهار لم يكن وليد ساعة ، كما لم يكن مفاجئاً ، بل تضافرت عوامل عديدة ساعدت على رفع شأنه ، ومن هذه العوامل كثرة العمران دلالة الرخاء والاستقرار . (ابن خلدون ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٤٣٤)

كما كان لدخول العجم ـ لا سيما الفرس والترك ـ في الدولة الإسلامية في العصر العباسي أثر كبير في ازدهار العلم والثقافة ، وثمة عامل هام كان له أثره الفعال في الازدهار العلمي ، ألا وهو التوسع الكبير في صناعة الورق في معظم

أصقاع الدولة الإسلامية ؛ الأمر الذي دفع حركة التأليف والتصنيف والتدوين دفعة قوية ، وقد نتج عن ذلك نشوء صناعة جديدة هي صناعة « الوراقة » وهي صناعة كان يقوم أصحابها بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها ونحو ذلك مما يتعلق بالكتب . (أمين ، ١٣٤٣هـ ، ١٩٣٥م ، ص ٢٤)

ومن المؤثرات التي كان لها فضل كبير في الرقي الفكري الذي اكتنف المجتمع الإسلامي تشجيع الخلفاء والأمراء والولاة وأولي الأمر للعلم ، والعطايا التي كانوا يغمرونهم بها ، وقلما يخلو قصر خليفة أو أمير من أكثر من عالم أو فقيه أو شاعر أو أديب . ولقد كان تبني الدولة الإسلامية للعلماء أمراً ملحوظاً ؛ ولئن ساد التفكك كثيراً من أجزاء الدولة الإسلامية ؛ فإن سلاطين وحكام هذه الدويلات تنازعوا فيما بينهم على استقطاب العلماء ؛ فكانت الحركة العلمية في هذا العصر حركة زاهية وضعت لبنات جمة في بناء صرح الثقافة الإسلامية .

مما سبق نلاحظ أنه قد وجدت في الدولة الإسلامية مستلزمات كثيرة أدت إلى تدوين العلوم وتصنيفها وتنسيقها وتبويبها وجمع ما تفرق فيها ؛ حتى تميزت علوماً ذات أصول وفروع ، وأصبحت علوماً قائمة بذاتها ، تؤلف فيها المصنفات الكبيرة ؛ وتوضع فيها المجلدات الطوال .

أما مراكز العلم في هذا العصر فقد تجلت في مراكز كثيرة ، والمركز الأكبر في شتى عصور الأمة الإسلامية هو المسجد ، فلم تكن المساجد أماكن للعبادة أو الصلاة فحسب ؛ بل كان المسجد أكبر جامعة وأكبر معهد ثقافي ينهل منه الطلاب وقد انتشرت فيه حلقات التدريس وتنوعت من فقه إلى علوم اللغة العربية وعلوم التفسير ورواية الشعر وغير ذلك .

ومن مظاهر العلم أيضاً مجالس المناظرات التي كانت في كل مكان في المساجد والبيوت والقصور والأسواق بين العلماء في الفقة واللغة والنحو والحديث وغيرها من العلوم . وتروي لنا مصنفات اللغة والتاريخ والفقه والطبقات كثيراً من المناظرات والمطارحات واللقاءات بين العلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم ، وقد كثرت

هذه المجالس ؛ وكانت الفائدة منها كبيرة ؛ ولم تكن قاصرة على المتناظرين ، وإنما لكل من حضر من أصحاب ومؤيدين ، حيث كانوا يسجلون كل ما يدور في المجلس .

ومن المظاهر الحضارية في هذا العصر انتشار المكتبات انتشاراً واسعاً ؛ وقد تهافت الخلفاء والأمراء والوزراء والولاة والعلماء على شراء الكتب واستنساخها واقتنائها وتنافسوا في ذلك وقد كان التنافس في ذلك شديداً بين الشرق والغرب ؛ ومما ساعد على انتشار المكتبات وجود مصانع الورق التي تواجدت في جميع أنحاء الدولة .

وكانت « دار الحكمة » أول مكتبة عامة وقد انشأها المأمون في بغداد ؛ وجمع لها الكتب اليونانية من الأمبراطورية البيزنطية وقد ترجمت إلى العربية ، وكانت المكتبة تحوي كل العلوم التي اشتغل بها العرب ، وقد ظلت قائمة إلى مجيء التتار سنة ٦٥٦هـ . (أمين ، ١٣٤٣هـ ، ١٩٣٥م ، ص ٦٥ ـ ٦٦)

ومن مظاهر العلم أيضاً الرحلة في طلب العلم رغبة في الازدياد من المعرفة . أما المظهر الأهم الذي ساد هذا العصر ؛ وطغى عليه ؛ وعرف به فهو إنشاء المدارس ، وقد وضع « نظام المُلك » ووزيراه « ألب أرسلان » و « ملكشاه » أسس هذه المدارس ، فقد كان نظام المُلك عالماً وكاتباً ، وقد أنشأ المدرسة النظامية التي سميت باسمه ؛ ودعا إليها كبار العلماء مثل أبي حامد الغزالي « والتبريزي » وأبي المنصور الجواليقي « وابن الأنباري » . وكثير غيرهم ؛ ولم يقف أمر إنشاء المدارس عند بغداد فقط بل تعداها إلى جميع المدن في الناحية الشرقية من الدولة الإسلامية ؛ أي في العراق وخراسان . يقول الإمام تاج الدين السبكي إنه كان لنظام المُلك في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة . (السبكي ، د. ت ، ص ١٣٧)

وقد غطت المدارس المدن التالية : بغداد ـ بلخ ـ نيسابور ـ هراه ـ أصفهان ـ البصرة ـ مرو ـ آمل ـ الموصل . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٤٢٤)

أما في الناحية الغربية في الشام ومصر فقد كان الاتجاه كبيراً لدى حكام الدولتين الزنكية والأيوبية إلى إنشاء المدارس ؛ وقد أسهموا في إنشاء المدارس في الشام بشكل خاص ؛ ثم في مصر فيما بعد ، وقد أنشئت أول مدرسة سنية في مدينة الإسكندرية سنة (٥٣٣هـ) إذ أنشأها أحد وزراء الدولة الفاطمية ؛ وسميت باسم المدرسة الحافظية ؛ وقد أسند التدريس في هذه المدرسة إلى الفقيه المالكي ابن ظاهر ابن عوف ؛ الذي تتلمذ على زوج خالته الإمام أبي بكر الطرطوسي ؛ الذي أقرأه المذهب المالكي .

وفي سنة ٥٤٤هـ بنى العادل وزير الخليفة الظاهر مدرسة سنية أخرى في الإسكندرية ، وقد أسند التدريس فيها إلى الفقيه الشافعي طاهر أحمد بن محمد السلفي . (ابن خلكان ، د. ت ، ص ٤٤)

أما في القاهرة فبعد زوال الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين على مصر حول الجامع الأزهر إلى تدريس المذهب السني بعد أن كان الغرض من إنشائه تدريس المذهب الشيعي ، وقد أضحى الأزهر بعد ذلك مقصداً لطلاب العلم من كافة أصقاع العالم الإسلامي إلى وقتنا الحاضر . (حسن ، ١٩٦٤م ، ص ٦٠٦)

ثانياً : دراسة موجزة عن ترجمة برهان الدين الزرنوجي :

اسمه ونسبه :

إن ما يلفت النظر أن جميع من ترجموا لصاحب " تعليم المتعلم طريق التعلم " أو تحدثوا عنه لم يترجموه بأكثر من برهان الدين ، وهو اللقب الذي اشتهر به ، وذلك على عادة العلماء والمشاهير في تلك العصور التلقب بالألقاب الدينية التي يُرجى إظهار صاحبها بمظهر التدين والمتأثر بالدين . (الزرنوجي تحقيق القباني ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ص ١٨)

وستستعرض الباحثة ما ذكر عن اسمه ونسبه من الكتب التي تحصلت عليها وهي :

أولاً : كتاب « الجواهر المضيئة » للقرشي ، وذكر فيه أن « برهان الدين » من تلامذة صاحب الهداية ، وهو مصنف كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » ، وهو كتاب نفيس قيم يحتوى على فصول في نحو ثلاث كراريس . (القرشي ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص ٣٦٤)

ثانياً : كتاب « هداية العارفين في أسماء المؤلفين » للبغدادي وفيه أشارة إلى أن برهان الدين الزرنوجي – زرنوج بالفتح والسكون بلد ما وراء النهر بعد خجند – الحنيفي من تلاميذ برهان الدين صاحب الهداية الذي توفي في حدود سنة (٦١٠هـ) وقد صنف " تعليم المتعلم طريق التعلم " . (البغدادي ، ١٩٥١م ، ص ١٣ - ١٤)

ثالثاً : كتاب « دائرة المعارف الإسلامية » لخورشيد وآخرون ، وجاء فيه أن الزرنوجي هو برهان الدين ؛ وهو فيلسوف عربي مجهول الاسم ، وإنه لا يمكن تحديد الزمن الذي عاش فيه إلا على وجه التقريب ، وهو من الطبقة الثانية عشر من طبقات الحنفية .

(خورشيد وآخرون ، ١٩٣٣م ، ص ٣٤٥)

رابعاً : كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » تحقيق القباني . ودل على أن الزرنوجي اسمه غير معروف ؛ ولكنه اشتهر بلقب برهان الدين الزرنوجي ، ونسبته « زرنوجي » نسبة إلى بلدة زرنوج .

(الزرنوجي تحقيق القباني ، ١٤٠١هـ، ص ١٨)

ومما سبق يمكن للباحثة أن تقول بان الزرنوجي فيلسوف عربي مجهول الاسم ؛ لم يصل إلينا من كتب التراجم إلا لقبه الذي اشتهر به ، وهو برهان الدين الزرنوجي نسبة لبلدة « زرنج » وهو صاحب كتاب " تعليم المتعلم طريق التعلم " وهو كتاب تربوي نفيس وقيم .

كما أنه كان من تلامذة برهان الدين صاحب كتاب « الهداية » .

نسبه :

ينسب برهان الدين الزرنوجي لبلدة زرنج وهي مدينة في بلاد فارس وهي العاصمة السابقة لإقليم سجستان . (البغدادي ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م، ص ١٣٨)، وتقع إلى الجنوب من هراة على مسيرة عشرة أيام في صحراء تشقها قنوات متفرعه من نهر هيلمند ، وقد حُصنت زرنج وأحيطت بخندق ، وكذلك كانت ضاحيتها ، ولها خمسة أبواب حديدية ، وكانت المنازل تبنى على صورة قيساريات معقودة من الآجر لأن الخشب كان يأكله النمل . وكان بداخل المدينة قنوات وصهريجان عظيمان من الماء الجاري ؛ وفيها المسجد الكبير الذى اشتهر بمئذنتيه وقد غزا تيمور زرنج عام (٧٨٥هـ / ١٣٨٣م) وخربها وقتل سكانها . وتقوم أطلالها حول القرى الحديثة لزاهدان وشهرستان في مجرى إحدى القنوات القديمة المتفرعة من هيلمند ؛ والتي جفت في العصور الوسطى ، وكانت زرنج قديماً اسم ولاية زرنكة ، واسماً للقوم الذين سكنوها .

(خورشيد وآخرون ، ١٩٣٣م ، ص ٣٤٤)

ولادته ووفاته :

لم تذكر كتب التاريخ والطبقات والتراجم سنة ولادته ؛ أما عن سنة وفاته فقد اختلف المؤرخون في تحديدها ، فقد ذكرت بعض المراجع الحديثة (الزرنوجي تحقيق عثمان ، ١٣٩٧هـ ، ص ٢٥) أن وفاته كانت سنة (٥٩١هـ) دون ذكر المراجع التي استقوا منها هذا التاريخ . وقد ذكرت أيضاً سنة (٦٢٠هـ) سنة لوفاته وهذا التأريخ يوجد في بعض المراجع مثل « الجواهر المضيئة » للقرشي و « دائرة المعارف الإسلامية » ، وقد جاء فيها أن الزرنوجي هو من طبقة النعمان بن إبراهيم الزرنوجي المتوفي سنة (٦٤٠هـ) كما ورد في الموسوعة العربية الميسرة (١٩٣٢م) أنه توفي سنة (٦٢٠هـ) ، ويوجد ما يؤيد هذا التأريخ بمعرفة تواريخ وفاة شيوخه ؛ والذين ستذكرهم الباحثة لاحقاً بإذن الله .

كما أن مؤلف كتاب « الهداية » برهان الدين الميرغناني ؛ والمتوفي عام ٥٩٣هـ . دعا له الزرنوجي بالرحمة أكثر من مرة في كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » وهنا يؤكد أن وفاة الزرنوجي كانت بعد عام ٥٩٣هـ ، وليس في عام ٥٩١هـ . (الأهواني ، ١٩٥٥م ، ص ٢٣٩)

وتستخلص الباحثة من هذا العرض أن الزرنوجي عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع ؛ وأن وفاته انحصرت في سنة (٦٢٠هـ)

نشأته :

أغلب الظن أن نشأة « برهان الدين الزرنوجي » كانت في بلدة زرنوج ؛ ولا نعلم شيئاً عن نشأته الأولى ومراحل حياته ، فلم يكن الزرنوجي أديباً كبيراً أو شاعراً مشهوراً ؛ حتى نستخلص شيئاً عن نشأته وتدرجه في مراحل حياته . والأمر الذي لا شك فيه أن الزرنوجي طلب العلم أول ما طلبه في الكتّاب ؛ شأنه شأن ما كان يتبعه سواد الناس في تعليم أولادهم ، وكانت الكتاتيب شائعة ومنتشرة في عصره ، لا يكاد يخلو منها إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية ، وكان معظم ما يفيد الصغير في هذا الكتّاب تعلم القرآن والخط العربي وأمور الدين

الرئيسية وشيء من الحساب ومباديء اللغة والنحو ، واللغة الفارسية ، وقليل من الشعر والأدب ، وكان التردد على الكتاب هو البداية الطبيعية التي بدأ فيها كل أكابر علماء اللغة والفقه والأدب . وكان من الطبيعي بعد ختم القرآن أن ينقل طلاب العلم إلى حلقات الدرس في المساجد لتلقي العلوم المختلفة على أيدي مشايخ هذه الحلقات . والثابت أن الزرنوجي كان تلميذاً لصاحب « الهداية » ، أخذ العلم على أستاذه برهان الدين المرغيناني في سمرقند وفي بخاري ، وهما مدينتان كانت تعقد في مساجدهما مجالس العلم لهذا الأستاذ الكبير .

(الزرنوجي تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤ – ١٥) *

ثقافته :

نشأ الزرنوجي في عصر وجدت فيه ثقافات متعددة ؛ فقد ثقف الثقافة العربية الأصيلة ؛ لأنه تعلم وهو صغير في الكتاتيب التي كان يتعلم فيها الناشئة القراءة والكتابة والقرآن الكريم وبعض اللغة والنحو والعروض والشعر ، والفقه وعلوم القرآن من تفسير وقراءات ، والحديث والأخبار ، وذلك في الحلقات التي كانت تعقد في المساجد الجامعة في المدن الكبيرة ، مثل سمرقند وبخاري . يعني أن الثقافة الدينية تمثل جانباً كبيراً من مكونات ثقافة الزرنوجي ؛ وفي هذه الثقافة يبرز الفقه وخاصة الفقه الحنفي .

وقد ألم الزرنوجي أيضاً بالثقافة الفارسية والهندية ، فقد كان يجيد اللغة الفارسية شأنه في ذلك شأن كل سكان المنطقة ، ويتضح ذلك من خلال ما أورده من شعر باللغة الفارسية ، وفي بعض العبارات في كتابه « تعليم المتعلم طريق التعلم » . والثقافات الفارسية والهندية في عصره من الأسس التي قامت عليها الحياة العقلية في المنطقة التي نشأ فيها .

مما سبق يمكن أن نقول أن الزرنوجي تثقف بالثقافة الإسلامية القائمة على القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه ـ وخاصة الفقه الحنفي ـ واللغة

---

* أرجو ملاحظة أن جميع الإشارات التي في نص الرسالة لكتاب " تعليم المتعلم طريق المتعلم " ستكون في نص الكتاب الذى حققه محمد عبدالقادر أحمد في عام ١٤٠٦هـ .

والشعر والأدب بجانب الثقافة الفارسية بما فيها من أدب وحكمة وفلسفة ومنطق وفلك وتنجيم . (أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٧)

شخصيته :

قلة المعلومات حول حياة الزرنوجي لا تعني استحالة تكوين فكرة عن شخصيته التي نلمسها بوضوح في كتابه . فمن خلال قراءة كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم " تتبين لنا ملامح تلك الشخصية ، فهو فقيه حنفي متعصب لمذهبه ، وتبعيته لهذا المذهب تظهر في مصنفه الذي أورد فيه العديد من الاستشهادات والأقوال السائدة في عصره ، أغلبها لعلماء وفقهاء الأحناف ، مع أن الكتاب لا يمت بصلة إلى أي مواضيع الفقه ، ولا يتناول مذهب الإمام أبي حنيفة بأية دراسة ، وتظهر أيضاً بتلميحه إلى بعض كتب الأحناف المختصرة في الفقه التي رأى أن على المتعلم حفظها في بداية طريق التعلم ، بل حتى إنه أوجب على المتعلم تقطيع الورق على ما كان يفعله الإمام أبي حنيفة .

(الزرنوجي تحقيق قباني ، ١٤٠١هـ ، ص ١٩ – ٢٠)

شيوخه :

أخذ الزرنوجي العلم عن عدد من مشايخ وعلماء عصره المشهورين والمكثرين من التصنيف في الفقه والأدب ، يجمعهم قاسم مشترك وهو كونهم من الأحناف ، ولا شك أن دراسة المرء لعلم على رجال من مدرسة فكرية مذهبية واحدة ، تكون لها جذور علمية عميقة ، تترك بصماتها واضحة ثابتة على منهجه العلمي ؛ الذي لن يحمل سوى منابعه ذات التوجيه الفكري ؛ الذي لا يحيد عن طريقه .

ومرجعنا الرئيسي في التعرف على مشايخه هو كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم " ، فقد ذكر فيه عدداً منهم وأورد أقوالاً تنسب إليهم .

وشيوخ الزرنوجي هم :

١ ـ برهان الدين على بن أبي بكر المرغيناني المتوفي سنة (٥٩٣هـ / ١١٩٧م) وصاحب كتاب « الهداية في الفقه » وكثير من التصانيف . ومن

تصانيفه ـ مجموع النوازل ، الفرائض ، المنتقى ، كفاية المنتهى ، التجنيس والمزيد . (المرغيناني ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٥م ، ص ٢)

وهو من كبار فقهاء الأحناف في عصره ، وله شروح كثيرة وصل عددها إلى ثلاثة وأربعين شرحاً . (القرشي ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص ٣٦٥)

٢ ـ محمد بن أبي بكر الجوغي ، ركن الإسلام ، إمام زاده (٤٩١ ـ ٥٧٣هـ/ ١٠٩٨ ـ ١١٧٧م) وهو واعظ فاضل كان مفتياً ببخاري . نسبته إلى (جُوغ)، بضم الجيم من قرى سمرقند ، له « شرعة الإسلام » في ٦١ فصلاً ، شرحه البروسوي في كتابه « مفاتيح الجنان » ، وفاضل آخر سمي شرحه « مرشد الأنام إلى دار السلام » . قال اللكنوي : « ونسب كتابه شرعة الإسلام ، لأبي بكر الرازي خطأ » . (الزركلي ، ١٩٨٤م ، ص ٥٤)

٣ ـ حماد بن إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن إسحاق بن شبيب قوام الدين ابن الإمام ركن الدين إبراهيم الصفار (٤٩٣هـ / ٥٧٦هـ) من أهل بخاري . حصل طرفاً من علم الكلام والفقه والأدب ، وكان يؤم الناس يوم الجمعة في الصلاة ، ويخطب غيره ، وكذا عادة أهل بخاري ، لا يصلي بهم الخطيب ، بل من هو أعلم منه ، وأحسن طريقه . سمع أباه ، وقدم حاجاً إلى بغداد وحدث بها ، وقدمها حاجاً مرة ثانية وحدث بها أيضاً ، وسمع منه القاضي أبو المحاسن بن علي ، وأخرج عنه حديثاً في « معجم شيوخه » ، وكانت ولادته في ليلة العيد من ذي الحجة في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة (٤٩٣هـ) ببخاري ، ووفاته سنة ست وسبعين وخمسمائة بسمرقند (٥٧٦هـ) . (التميمي ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص ١٨٢)

٤ ـ مسعود بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الكشتاني الملقب بركن الدين صاحب المختصر المسعودي . إمام عالم يرجع إليه في النوازل ؛ كان شيخاً كبيراً تفقه على شمس الأئمة السرخسي ومات سنة خمسمائة وثلاث وسبعون (٥٧٣هـ) . والكشتانية بلدة بنواحي سمرقند .

(اللكنوي ، د. ت ، ص ٢١٣)

٥ ـ الحسن قاضي خان (٥٩٢هـ ، ١١٩٦م) هو الحسن بن منصور بن محمود بن عبدالعزيز الأوزجندي الفرغاني الحنفي المعروف بقاضي خان فخر الدين أبي المفاخر أبي المحاسن ، فقيه مجتهد في المسائل ؛ توفي في منتصف رمضان سنة (٥٩٢هـ) ، من تصانيفه « الفتاوى » في أربعة مجلدات ، « المحاضر » « شرح أدب القاضي للخصاف » ، « شرح الزيادات للشيباني » ، و« شرح الجامع الصغير للشيباني » في فروع الفقه الحنفي . (كحالة ، ١٣٧٦هـ ، ص ٢٩٧)

٦ ـ الأديب المختار ركن الدين الفرغاني فقيه وأديب وشاعر توفي عام (٥٩٤هـ ، ١١٩٨م) . (الزركلي ، ١٩٨٤م ، ص ١٤٢) ، (الجابي ، ١٤٠٧هـ ، ص ٥٩٠)

٧ ـ الحسن بن علي بن عبدالعزيز بن عبدالرزاق ابن أبي النصر المرغيناني . أبو المحاسن ظهير الدين أستاذ مسعود بن الحسين الكشاني روى عنه صاحب « الهداية » « كتاب الترمذي » . (التميمي ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص ٩٥)

مؤلفاته :

لم يعرف له سوى واحد فقط هو « تعليم المتعلم طريق التعلم » . (الموسوعة العربية فرانكلين ، ١٩٧٢م ، ص ٩٢٣)

وهذا هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا ، أو بقي من مؤلفاته إن كانت لديه مؤلفات أخرى . ويرجع محمد عبدالقادر أحمد (١٤٠٦هـ) في كتابه عن الزرنوجي أن عدم وصول مؤلفات الزرنوجي إلينا قد يكون لأسباب ، منها أنها ضاعت شأن كثير من المخطوطات العربية التي ضاعت واندثرت ، إما بسبب الإهمال أو أمراض المخطوطات بالقرضة والسوسة ، أو الغزو المغولي الذي قضى على كل ما كان يصادفه من أثر للحضارة العربية ، فقد ألقى المغول بكل المخطوطات التي عثروا عليها في مكتبة بغداد في نهر دجلة ؛ وكان من الممكن أن تعبر عليها خيولهم من كثرتها . (أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٤)

الفصل الثالث
الفكر التربوي في كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم »

أولاً : لمحة عن كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » :

- الهدف من تأليف الكتاب .
- وصف الكتاب .
- أهمية الكتاب وقيمته .

ثانياً : أهمية العلم عند الزرنوجي :

- وسيلة للتقوى .
- وسيلة لتعلم الفضائل الأخلاقية وترك الرذائل .
- وسيلة إلى المعارف الدنيوية .

ثالثاً : الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي :

- التعلم المستمر واخلاص النية لله .
- إلزامية التعليم .
- الاختيار (الحرية) .
- المشاورة .
- التدرج .
- مراعاة الفروق الفردية .
- التأمل والفهم .
- التكرار .
- الاتصال بمصادر العلوم .

أولاً : لمحة عن كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » :

الهدف من تأليف الكتاب :

لما كان الزرنوجي قد عاش في أواسط القرن السادس الهجري وهو القرن الذى ضعفت فيه جبهة المسلمين الداخلية مما حرض الصليبيين على غزواتهم المتكررة على ديار الإسلام ، ونظراً لظهور كثير من الفرق في عصره والتى تسربت إليها كثير من الآراء غير الإسلامية ، فقد رأى مثله مثل كثير من المخلصين في ذلك العصر ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة وذلك عن طريق التربية والتعليم . وكان كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » واحداً من الكتب التى أسهمت في تحقيق هذا الهدف .

ويرى الدكتور اسحاق فرحان « ان التربية والتوجيه في الإسلام تنبثق من الايدلوجية (العقيدة) الإسلامية نفسها ، فخصائص الرسالة الإسلامية ينعكس على خصائص العملية التربوية وتصبغها بصبغتها (فرحان ، ١٤٠٤هـ ، ص ٦٤)

وصف الكتاب :

يتضمن كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » ثلاثة عشر فصلاً ؛ وهذه الفصول هي : ما هية العلم والفقه وفضله . النية حال التعلم . اختيار المعلم والأستاذ والشريك والثبات عليه . تعظيم العلم وأهله . الجد والمواظبة والهمة . بداية السبق وقدره وترتيبه . التوكل وقت التحصيل . الشفقة والنصيحة . الاستفادة . الورع في حالة التعلم . فيما يورث الحفظ وما يورث النسيان . فيما يجلب الرزق وما يمنعه ، وما يزيد في العمر وما ينقص .

أهمية الكتاب وقيمته :

لكتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » قيمته بين النتاج العلمي فقد ترجم إلى اللغة اللاتينية وعدد من اللغات الأجنبية مثل الألمانية والانجليزية لما يحمله من قيم تربوية مفيدة وكان معروفاً ذائع الصيت مقدراً عند علماء المسلمين ، ومن الدارسين

والمحدثين مثل إبراهيم سلامة من يعده أحد ثلاثة كتب تفرغت تماماً لموضوعات التربية وهي :

١ ـ « الفضيلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين « للقابسي القيرواني . وكان حتى عام ١٩٤٩م مخطوطاً محفوظاً بدار الكتب المصرية ، إلا إن أحمد الأهواني حققه ودرسه ونشره تحت عنوان « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » في سنة ١٩٥٥م .

٢ ـ " تعليم المتعلم طريق التعلم " للزرنوجي الذي هو موضوع الدراسة الحالية .

٣ ـ « في أحكام المعلمين والمتعلمين » لمحمد ابن أبي زيد ، ولا نعرف ما إذا كان هذا الكتاب قد حقق أو درس أم لا . (الزرنوجي تحقيق عثمان ، ١٣٩٧هـ ، ص ٢٧)

يقول الدكتور عبداللطيف محمد العبد عن كتاب الزرنوجي « إنه من أنفع الكتب التربوية النابض بالحيوية دائماً بالرغم أنه من كتب التراث » . (العبد ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص ٢٠٢)

إن ترجمة الكتاب إلى اللغة اللاتينية لا يترك مجال للشك أبداً في إنه قد أثر في تطور مناهج التربية عند الغربيين . (الخلد ، مجلة ، دار الحديث الحسينيه ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩١م ، ص ٤١١)

وقد اعتمد الزرنوجي على التربية الدينية والخلقية التي هي أساس متين من أسس التربية العامة في الإسلام .

(الحميني ، المجلة العربية للتربية ، ١٩٨٧م ، ص ٩٦)

ولقد أدرك الزرنوجي أهمية التعليم وضرورته لأبناء عصره كاحدى الوسائل المهمة التى تعيدهم إلى ما كان عليه اباؤهم واجدادهم من قوة ومنعه . يقول الزرنوجي في مقدمة كتابه :

" فلما رأيت كثيراً من طلاب العلم في زماننا يجدون الى العلم ولا يصلونه، ومن منافعه وثمراته يُحرَمون لما أنهم أخطأوا طرائقه ، وتركوا شرائطه ؛ وكل من

أخطأ الطريق ضل ، فلا ينال المقصود قل أو جل ، أردت وأحببت أن أبين لهم طريق التعلم على ما رأيت في الكتب ؛ وسمعت من أساتذتي " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨١)

تأتي أهمية الكتاب في صغر حجمه إذا قارناه بغيره من الكتب . والأساس الذي قام عليه في ذلك هو الاختصار خوفاً من الإطالة . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٦) إلا أن ذلك لم يخل بالعرض التربوي الشيق فيه . وإيجاز الكتاب هو السر في انتشاره إنتشاراً كبيراً بين الناس آنذاك . (خورشيد وآخرون ، ١٩٣٣م ، ص ٣٤٦)

ويرى مروان قباني أن أهمية الكتاب تبرز في انه يعالج موضوع التعلم وهذا يحتل مكاناً بارزاً في علم النفس التربوي ؛ لما له من دور أساسي في العملية التربوية التعليمية ، ولما له من المكانة الرئيسية في علم النفس العام . (القباني ، ١٤٠١هـ ، ص ٣٠)

والذي يعطي الكتاب أهمية مميزة في نظر محمد عبدالقادر أحمد (١٤٠٦هـ) أنه نموذج فريد في موضوعه خاصة في عصر الزرنوجي فقد كانت المؤلفات آنذاك كثيرة في مجال علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه واللغة العربية والشعر ، أما التأليف في التربية الإسلامية في ذلك الوقت فكان نادراً ، لذا عد هذا الكتاب من أشهر المؤلفات الإسلامية ، في موضوع التربية . (أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٧)

وقد اشتهر الكتاب بين مفكري المسلمين عامة وطلاب العلم خاصة ، ولقي الكثير من العناية والاهتمام بترجمته وطباعته ويرجح أن يكون قد ترجم في أوروبا ضمن ما ترجم في ذلك العصر إلى لغات أخرى أيضاً طبع الكتاب في ألمانيا سنة (١١٢١هـ / ١٧٠٩م) ، وفي ليبرج سنة (١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م) ، وفي قازان سنة (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) وفي مرشد اباج سنة (١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م) وفي الأستانة سنة (١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م) و (١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م) و (١٣٣٢هـ / ١٩١٣م)

وطبع في مصر سنة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م) و (١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م) و (١٣١١هـ / ١٨٩٣م) و (١٣١٩هـ / ١٩٠١م) و (١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) .

فتاريخ حياة هذا الكتاب في طورها الحديث يعود إلى القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ، سواء في الشرق أو في الغرب ويدل ذلك على أهمية كبيرة واحتفاء شديد به من الفكر التربوي الحديث إلى جانب اهتمام العلماء والمتعلمين المسلمين به منذ ظهوره في القرن السادس الهجري أو الثاني عشر الميلادي . (الزرنوجي ، تحقيق عثمان ، ١٣٩٧هـ ، ص ٣٠)

ثانياً : أهمية العلم عند الزرنوجي :

تنبه الزرنوجي لأهمية العلم كوسيلة بناء وقوة ، فكان تصنيفه لهذا الكتاب عن التعلم استجابة لحاجة أحسها في مجتمعه وعلاجاً لصعوبات لمسها من قبل المتعلمين . (أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨١)

ويرى الزرنوجي أن العلم هو الذى يميز الإنسان ، ذلك أن سائر الخصال الأخرى من قوة وشجاعة وجرأة وغيرها يشترك فيها الإنسان والحيوان ، أما العلم فهو الذى يختص به الإنسان وحده ، وذلك لما يتميز به من عقل . قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَؤُلآءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ قَالَ يا آدمُ أَنبِئْهُم بِأَسمائِهِم فَلَمَّآ أَنبَأَهُم بِأَسمائِهِم قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ « سورة البقرة آية ٣٠ ـ ٣٣ » .

وهذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم ؛ وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام ؛ وعدم علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن ذلك ؛ فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون . ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ

﴿ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ أي علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها . (ابن كثير ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٣٥)

وقدرة الإنسان على التعلم إنما تكون بما زود الله به طبيعته من عقل يدرك به ويميز بين الخير والشر ، قال الغزالي : « بالعقل صار الإنسان خليفة لله » ، وبه أصبح الإنسان قادراً على التعلم . (عبدالعال ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٥٨)

والعلم الشرعي هو سيد العلوم ، وبه يعرف مايتعلق بتوحيد الله وشرعه . وقد اهتم به الإسلام ودعا إلى نشره ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ « سورة آل عمران آية ١٨٧) .

ومن العلم ما يُعلم به الحلال ؛ وكيفية الاستفادة منه ، ويعرف به الحرام وكيفية اجتنابه على ضوء ما تقتضي به لا إله إلا الله . يقول سبحانه : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ « سورة محمد آية ١٩ » .

وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ « سورة آل عمران آية : ١٨)

وأولى علوم الشرع علوم أصول الدين ، كمعرفة الله تعالى بصفاته وأسمائه ، وما يجب له جلّ وعلاّ ، وما يجوز في حقه . ومثل ذلك معرفة النبي ﷺ ، وما يجب له ، وما يستحيل عليه ، وما يجوز في حقه ، ومعرفة الأنبياء ، ثم معرفة ما جاء من عند الله من الأحكام الشرعية التي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها ، مثل أحكام الطهارة ، وأحكام الصلاة وسائر العبادات ، ثم بقية العلوم الشرعية ؛ لأنها واجبة على الكفاية كمعرفة الصنائع والحرف والإجارة وغيرها مما اعتنى به الفقهاء ، وفن علم الآله مثل النحو والصرف ، إذ مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب . (جبران ، ١٤١٤هـ ، ص ٦٢)

وتعلم العلم وتعليمه من شعب الإيمان . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ « سورة فاطر ، آية ٢٨ » .

أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به وهذه ثمرة العلم ، لأنه كلما كانت المعرفة أتم للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى ، والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر .

(ابن كثير ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ٥٦١)

وقوله جلت قدرته : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ « سورة المجادلة ، آية ١١ » ، فأهل العلم لهم رفعة ورتبة عند الله فرفع الله قدرهم ونشر ذكرهم .

(ابن كثير ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٤٩)

وقال عليه الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » رواه البخاري . (البخاري ، كتاب العلم ، م١ ، ١٤٠٠هـ ، ص ٤٢)

إذ إن دراسة القرآن والسنة تعلم المؤمن أحكام عبادته التي صرفها لله . وكيفية تعامله مع الآخرين ، سواء كانوا ذوي الرحم أو الجيران أو ضيوف أو ممن يرتبط معهم في معاملاته ، فيتعلم كيف يصلي ويزكي ويصوم ويحج ويشتري ويتزوج ويطلق ... الخ . (العبيد ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٨٦)

وعن أبي ذر قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو ، فتعلم باباً من العلم عُمل به أو لم يعمل خير من ان تصلي ألف ركعة » رواه مسلم . (مسلم ، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٧٩)

ويلاحظ مما ذكر أن الاشتغال بالعلم لله أفضل من العبادات البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك ، لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس ، أما النوافل البدنية فمقصورة على صاحبها ، ولأن في بقاء العلم إحياء الشريعة وحفظ معالم الملة . (ابن جماعة ، د. ت ، ص ١٣)

هذا ويرى الزرنوجي أن أهمية العلم تتركز في النواحي التالية :

أولاً : هو وسيلة للتقوى التي ينال بها الإنسان مكانته عند الله سبحانه وتعالى .

يقول في ذلك الزرنوجي " وإنما شُرّف العلم لكونه وسيلة إلى التقوى التي يستحق بها المرء الكرامة عند الله تعالى والسعادة الأبدية " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٦)

وإنما صار العلم وسيلة إلى التقوى لأن الاتقاء عما نهى الله تعالى موقوف على العلم به ، فلو لم يكن معلوما ، فكيف يتقى عنه ، وإذا حصلت التقوى عن ما حرم الله تعالى فاز بالسعادة الأبدية ، والوصول إلى أعلى المراتب . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيبَ فيهِ هُدىً للمُتَقِينَ ﴾ « سورة البقرة آية : ٢ » .

وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال في آخره : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » . (الترمذي ، باب فضل طلب العلم ، د. ت ، ص ٢٨)

وعن رسول الله ﷺ : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه البخاري . (البخارى ، باب العلم ، ١٤٠٠هـ ، ص ٤٣)

ثانياً : هو الذي يمكّن به تعلم الفضائل الأخلاقية وترك الرذائل . وفي ذلك يقول الزرنوجي :

" وكذلك سائر الأخلاق نحو : الجود والبخل والجبن والجرأة ، والتكبر ، والتواضع والعفة والإسراف والتقتير وغيرها ، فإن الكبر والبخل ، والجبن والإسراف حرام ، ولا يمكن التحرز عنها إلا بتعلمها وعلم ما يضادها ، فيفترض على كل إنسان علمها " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٨)

ففي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يدلنا على الفضائل الأخلاقية ، ويحثنا على تعلمها والتمسك بها ؛ وينهانا عن الرذائل من الأخلاقيات ، قال ﷺ : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

(الإمام مالك ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، ص ٧٨٨)

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ﴾ « سورة النساء ، آية ٨٦ » .

ومن الأخلاق التي حثنا عليها ديننا الإسلامي الكرم ، والكريم هو الكثير الخير والجود . (ابن منظور ، د. ت ، ص ٥١٠)

والجود والكرم والسخاء بمعنى واحد ، ويراد به بذل المال والجاه بطيب نفس ، وهو من مكارم الأخلاق العالية . وقد وجهنا إلى ذلك الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ينفقو أَمْوَالَهُمْ بِا ليل وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ ربهِم ولاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ « سورة البقرة آية ٢٧٤ » .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما : « كان النبي ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حتى يأتيه جبريل يُدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة » متفق عليه .

(البخاري ، كتاب الوحى ، ١٤٠٠هـ ، ص ١٦)

فينبغي التأسي به ﷺ في الجود حسب الاستطاعة . ويقابل الجود البخل وهو ضد الكرم . (ابن منظور ، د. ت ، ص ٤٧)

وهو مذموم شرعاً وعقلاً ، أما شرعاً ففي القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ « سورة النساء آية: ٣٧ »، وقوله : ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ « سورة محمد ، آية : ٣٨ » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : « ما من يوم يصبح فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » رواه البخاري ومسلم .

(مسلم ، باب في المنفق والممسك ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٩٩)

ومنه الكرم إنفاق المال في محله وعدم التبذير والإسراف فيه ، وهما بمعنى واحد ، إنفاقه في وجوه الخير ، ومن ذلك أن أبا طلحة رضي الله عنه لما أنزل الله تعالى قوله : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ «سورة آل عمران، آية ٩٢ »، قال : يا رسول الله ان الله أنزل هذه الآية ، وإن أحب أموالي إلى بيرحاء – حديقة له بالمدينة المنورة – فخذها يا رسول الله صدقة لله تعالى ، وضعها حيث شئت . فقال عليه الصلاة والسلام . « بخ . بخ ذلك مال ربح ، وأرى أن تجعلها في الأقربين » . فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه . رواه مسلم . (مسلم ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٨٩)

أما صرف المال في غير محله فهو التبذير والإسراف : وهو ما أنفق في غير طاعة الله قليلاً كان أو كثيراً ، وهو ضد القصد . (ابن منظور ، د. ت ، ص ١٤٨) ، وهو مذموم ومنهي عنه ، قال تعالى : ﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ « سورة الأعراف ، آية ٣١ » ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ « سورة الاسراء ، آية ٢٦ ، ٢٧ » ، أي إن في التبذير تركاً لطاعة الله وارتكاب معصيته : ﴿ وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ أي جحوداً لأنه أنكر نعمة الله ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته .

(ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٤٠)

قال الجمهور : « لا تبذير في عمل الخير » . (جبران ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٢٤) ، ومن الفضائل الأخلاقية التواضع : وهو التذلل (ابن منظور ، د. ت ، ص ٣٩٧) ، وأصله عدم الترفع على الغير ، وخفض الجناح ولين الجانب لأدنى أفراد المسلمين ، وهو من صفات الأنبياء والصالحين . (جبران ، ١٤١٤هـ ، ص ٤٣) ، قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ « سورة المائدة ، آية ٥٤ » .

هـــذه صـفـات المؤمنين المتـصـفــين بالكمـال فـــي أن يكون أحـدهـم متواضعـاً لأخـيه ، متعـززاً علـى خصمه وعـدوه .

(ابن كثير ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م ، ص ٧٣)

قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ « سورة الفتح ، آية ٢٩ » .

ومن الأحاديث ما رواه مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه » . (مسلم ، باب استحباب العفو والتواضع ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٣٧٨)

وكذلك العفة أو العفاف من الفضائل الأخلاقية والعفة : الكف عما لا يحل ، ويجمل العف عن المحارم والأطماع الدّنيه . والعفاف الكف عن الحرام والسؤال من الناس . (ابن منظور ، د. ت ، ص ٢٥٣)

وأصل التعفف : الكف عن المحرمات التي نهى عنها الشرع ؛ والابتعاد عنها ؛ والمحافظة على النزاهة وتزكية النفس ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ « سورة النواريه ، آية ٣٠ » ، هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حُرم عليهم فلا ينظرون إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٩٢)

وقال تعالى : ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ « سورة النور، آية ٦٠ » ، وفي الآيات الكريمة السابقة حث على العفاف عن الوقوع في المحظورات .

ومن الأخلاق المذمومة التكبر ، وهو التعظيم ، الذي يحس به الذين يرون أنهم أفضل الخلق ، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم ، وهذه الصفة لا تكون

إلا لله سبحانه وتعالى ، وهو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد من البشر مثله ، وليس لأحد منهم أن يتكبر لأنهم في الحقوق سواء .

(ابن منظور ، د. ت ، ص ١٢٩)

ودليل وجوب ترك الكبر قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً ﴾ « سورة القصص ، آية ٨٣ » ، يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض أي ترفعاً على خلق الله وتعظماً عليهم وتجبراً بهم . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٤١٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ﴾ . « سورة لقمان ، آية ١٨ » .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم .

(مسلم ، باب تحريم الكبر وبيانه ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٤٤٩)

حرص القرآن الكريم على العلم والتعلم بألا يكون بعيداً عن الأخلاق والفضيلة ، فالعلم والأخلاق في التربية الإسلامية مكملين لبعضهما ، والعلم في القرآن يؤدي إلى تقوى الله وخشيته ؛ ويكسب الفرد الصفات الخلقية المرغوب فيها ، فالتربية الخلقية هي هدف أسمى ، وقد قال تعالى في كتابه الكريم ورسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ « سورة القلم ، آية ٤ » .

وقد اتفقت الرسالات السماوية على أن العلم فضيلة تهذب الأخلاق ، واعترف بذلك المفكرون والعلماء والمصلحون والتربويون على مر العصور ، غير أن الإسلام رأى أن هذه الفضيلة لا تتأتى إلا بتأثير العلم في النفوس ، ولا يصبح العلم فضيلة إلا إذا ظهر في السلوك . (حسن ، ١٩٨٥م ، ص ٣٢٩)

وترى الباحثة أن من الكتاب والسنة يمكن تعلم الفضائل الأخلاقية وترك الرذائل ، حيث إن الأخلاق الحسنة في الإسلام توافق المباديء الفطرية عند الإنسان ، وتبقيها على صورتها الخيرة ، ثم تضيف إليها بعض المباديء المكتسبة ؛ التي تزكي النفس وترقيها ، يقول الزرنوجي " العلم النافع يحصل به حسن الذكر " ، ص ١٢٦ .

ثالثاً : هو الوسيلة إلى المعارف الدنيوية . قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ « سورة يونس ، آية ١٠١ » .

يرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى التفكر في آلائه ؛ وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب من كواكب نيرات ثوابت وسيارات ؛ والشمس والقمر ؛ والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا ، وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها ، وما أنزل الله منها من مطر ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، وأخرج منها أفانين الثمار والزروع ، وصنوف النبات ، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب ، ، وما في البحار من العجائب والأمواج . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٤٤٩)

وعلى ذلك تستطيع الباحثة ان تقول ان العلم عند الزرنوجي باب عريض فالإسلام كله دعوة للعلم والمعرفة والعلم عند الزرنوجي يقبل فيه كل ما ينفع الإنسان بشرط ألا يتعارض ذلك مع الأصول الدينية مثل الطب وعلم النجوم ، علم الفلك ـ الذي تدرس به أحوال الأفلاك ، وليس الذي يقصد به معرفة الغيب ـ ويدخل في هذا الباب كل العلوم التى تحقق المنافع للإنسان الذى فضله الله على المخلوقات لأنه حمل الأمانة التى هي إعمار الكون ولا يحتاج هذا التفضيل إلى دليل أن وضع الإنسان بالنسبة لسائر المخلوقات يؤكد هذا التفضيل وتكليف الإنسان بمسئولية الأعمار كأن تكليفاً مقروناً بالعلم الذى يجعل المسئولية مبررة وعادلة .

ثالثاً : أهم الأفكار التربوية :

التي نادى بها الزرنوجي في كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم " .

١ ـ *التعلم المستمر ووجوب إخلاص النية لله* :

إن التعليم والمعرفة عملية نامية متراكمة عبر القرون والازمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي ليست محددة ، ولا يمكن أن يتوصل إلى نهايتها بشر. قال تعالى: ﴿ مَآ أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ « سورة الإسراء،آية :٨٥»، وقوله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ « سورة يوسف ، آية : ٧٦ » ، وقد قيل : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» « القرضاوي، د. ت ، ص ٩٩»، وبهذه الحكمة القديمة استشهد الزرنوجي حيث أن وقت العلم عنده من المهد إلى اللحد فالزرنوجي لم يحدد سناً معينة لبدء التعلم واستشهد بالحسن بن زياد ، حيث بدأ بالتفقه وهو ابن ثمانين سنة .

فلا يمكن لبشر أن يحيط بكل معارف العلوم شرعية كانت أو كونية فالتعلم لا ينتهي بفترة زمنية وإنما يمتد من المهد إلى اللحد بإستمرار لتحصيل المزيد من العلم والمعرفة .

ويجب أن تكون النية في هذا التعلم المستمر لله سبحانه وتعالى خالصة لوجهه الكريم قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » رواه البخاري . (البخاري ، باب إخلاص النية لله ، ١٤٠٠هـ ، ص ٣٥ » .

٢ ـ *إلزامية التعليم* :

قال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (ابن ماجه ، باب فضل العلماء وحث على طلب العلم ، د. ت ، ص ٩٢) ، والواقع التاريخي لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياة الصحابة والتابعين تدل على إهتمامهم

بطلب العلم ، وذلك رغبةً في دخول الجنة لقوله ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة » (الترمذي ، باب فضل طلب العلم ، د. ت ، ص ٢٨) . فبذلك ترى الباحثة أن التربية الإسلامية دعت إلى التعلم وكانت هذه الدعوة إلزامية وعامة لجميع الناس الكبير والصغير ، الرجل والمرأة ، الغني والفقير ، وذلك لإتاحة الفرصة أمام كل فرد مسلم أن يتلقى قدر من العلم يمكنه من عبادة الله والتقرب إليه حيث أنه لابد لهم من تعلم القرآن وأركان الإسلام والحقوق والواجبات والآداب الإسلامية فيصبح كل فرد في الأمة على جانب من الثقافة والتعليم وإلى ذلك ذهب الزرنوجي عندما تحدث عن علم الحال مثل تعلم الصلاة والصوم والزكاة والحج وكذلك في سائر المعاملات والحرف وكل من اشتغل بشيء منها يفترض عليه التحرز من الحرام فيه وكذلك يفترض عليه علم أحوال القلب من التوكل والإنابة والخشية والرضا . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٣)

٣ ـ ***الإختيار (الحرية)*** :

إن إرتباط المتعلم بتوحيد الله وحده لا شريك له وتحرره من العبودية لغير الله لهو اسمى درجات الحرية فالمتعلم يتمتع بممارسة الحرية ما دامت تسير وفق التربية الإسلامية فهي تضمن له عدم الاعتداء على ماله وجسمه ونفسه وعرضه . فمبدأ حرية الاختيار يتيح للمتعلم أن يكتسب الثقة بالنفس فللمتعلم حرية اختيار العلم النافع والذي لا يخرج عن نطاق العلم الذى حثنا عليه الدين ، وإختيار الاستاذ والرفيق له تأثير وانعكاسات على شخصية المتعلم . فهذا مضمون مهم من مبادىء التربية الإسلامية ، كما أنها تهتم بإستقلال المتعلم والدليل على إحترام شخصيته والإهتمام بحرية اختياره لعلمه ولإستاذه وشريكه . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩٨)

٤ ـ ***المشاورة*** :

قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ « سورة الشورى ، آية : ٣٨ » ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ « سورة آل عمران ،

آية : ١٥٩ » ، فالدين الإسلامي حثنا على المشاورة كما نجد من سيرة الرسول ﷺ مع أصحابه ما يؤكد هذا المضمون منها :

- مشاورته المسلمين في غزوة أحد - المكوث في المدينة أو الخروج منها لملاقاة المشركين فأشاروا عليه الخروج ، بالرغم من أنه ﷺ كان من رأيه أن يمكث المسلمون في المدينة وأن يتحصنوا بها ولكنه ﷺ لم يستبد برأيه وحقق مضمون الشورى .

- وفي غزوة الخندق أخذ ﷺ بمشورة سلمان الفارسي رضى الله عنه في حفر الخندق ، وأخذ بمشورة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في عدم مصالحة العدو على ثمار المدينة مقابل تركهم مقاتلة المسلمين في معركة الخندق (الندوي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢١٨) .

- ففي المشاورة اكتساب للصواب لكثرة الخبرات وتنوعها من المشاورين كما أن بها كشف عن قدرات عقلية ومشاركة من الجميع بالتالي تؤدي إلى تحمل نتيجة المشورة والزرنوجي يحث المتعلم قبل أن يثبت على يد معلم معين - يستشير الشيوخ الموجودين في ذلك العصر في رأيهم في ذلك المعلم الذي يريد أن يتتلمذ على يده . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٠)

٥ - ***التدرج*** :

من مبادىء التربية الإسلامية فقد نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ منجماً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور على مدار ثلاثة وعشرين سنه ، قال تعالى : ﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾ « سورة الفرقان ، آية : ٣٢ » ، فنزول القرآن الكريم كان مرتبطاً بالأحداث والوقائع جعل ذلك ايسر في حفظها وايسر في تذكرها . كما ان تعاليم الدين الإسلامي لم تأتي دفعة واحدة وإنما نزلت بالتدرج حيث بدأت أولاً بالشهادة ووحدانية الله فإن فعل المسلم ذلك يتعلم الصلاة فإن أداها يتعلم الصيام فإن استجاب يتعلم الزكاة وان نفذ يتعلم الحج ومن ثم يتفقه في

الدين قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ « سورة البقرة ، آية : ١٨٥ » .

كذلك التدرج في تغيير بعض العادات السيئة كشرب الخمر في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ « سورة البقرة ، آية : ٢١٩ » .

ثم قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ « سورة النساء ، آية : ٤٣ » ، ثم قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ « سورة المائدة ، آية : ٩٠ » .

والزرنوجي يطلب من المعلم أن يختار من العلم للمبتدىء ما يمكن ضبطه وفهمه بالإعادة مرتين بالرفق ويزيد في كل يوم كلمة ويزيد بالرفق . وان يختار له الكتب الصغيرة الواضحة . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ص ١٣٦)

٦ ـ ***مراعاة الفروق الفردية*** :

الأفراد تتفاوت قدراتهم العقلية واستعداداتهم وميولهم وذكائهم . وقد نبه القرآن إلى ذلك قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ « سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ » .

فالإسلام يراعي ويأخذ بعين الإعتبار طاقة الفرد وتحمله لأن الطاقات والقدرات تختلف من فرد لأخر ، قال ﷺ : « أمرنا أن ننزل الناس منازلهم » رواه مسلم (صحيح مسلم ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٦) .

وفي هديه ﷺ يتضح لنا أنه كان يتعامل مع أصحابه مراعياً لهذا المضمون وكان يخاطب الحديث العهد بالإسلام بخلاف ما يخاطب به الصحابي الذى توغل الإيمان في قلبه كما أنه راعي ميول الصحابة ويتضح ذلك من حديثه « ارحم امتى أبو بكر واشدها في دين الله عمر واصدقها حياء عثمان

وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأقرؤها لكتاب الله أبي واعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (مسند الامام أحمد ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص ١٨٤) .

فيجب على المربين مراعاة الفروق بين المتعلمين فليست كل العقول واحدة وليست قدرتها على الفهم والاستيعاب متماثله فمنهم من تعلم وفهم ومنهم من رغب في الاستزادة في العلم والتعمق في الفهم فوصل إلى درجة عالية من العلم ومنهم من تعلم وحفظ القرآن كله ومنهم من وصلوا إلى حد تعلم الفرائض واكتفوا بها .

٧ ـ ***التأمل والفهم*** :

القرآن الكريم يشتمل على كثير من الآيات الدالة التى تحث على التأمل في السموات والأرض وما بينهما وفي الخلق والكون وفي عظمة الخالق الذى رفع السماء بغير عمد ورتب ونظم النجوم والكواكب . قال تعالى : ﴿ الم تروا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ « سورة نوح ، آية : ١٥ ـ ١٦ » ، وقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ « سورة ق ، آية:٦»، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ « سورة النساء ، آية : ٨٢ » .

والزرنوجي يحث طالب العلم على التأمل في دروسه لأن العلم في رأيه لا يحصل إلا بالتأمل والتأمل في جميع الأوقات وفي دقائق العلوم حتى يعتاد ذلك المتعلم .

٨ ـ ***التكرار*** :

قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ « سورة الذاريات، آية : ٥٥ » ، وفي سورة الرحمن تكررت آية : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٣١ مره ، وفيها تأكيد على نعم الله الظاهرة على الثقلين الإنس والجن . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٩١)

وعن انس بن مـالك عن النبي ﷺ أنه كـان إذا سلم سلم ثلاثاً ولو تكلم بكلمـة أعـادها ثلاثـاً حتى تفهـم عنه وإذا أتـى على قـوم سلم عليهـم ثلاثـاً » رواه البخاري

(الجامـع الصحيح ، باب اعادة الحديث ثلاثاً ليفهم ، ١٤٠٠هـ ، ص ٥١)

والتكرار أسلوب تعليمي تربوى والتربية الإسلامية أكدت على أهميته والآيات السابقة تدلنا على ذلك .

٩ ـ ***الاتصال بمصادر العلوم أو الرحلة في طلب العلم*** :

قوله تعالى في قصة موسى مع الخضـر عليه السـلام ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً . فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً . فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَباً ﴾ سورة الكهف ، آية : ٦٠ـ٦٢ »، وقوله : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ « سورة الكهف، آية : ٦٥ ـ ٦٦ » .

الفصل الرابـع

آداب المعلم والمتعلم عند برهان الدين الزرنوجي

أولاً : آداب تختص المعلم :

١ ـ آداب تهتم بشخصية المعلم :

أ ـ المظهر اللائق .

ب ـ العلـم الـورع .

جـ ـ التواضــع .

د ـ الحلم والصبر .

٢ ـ آداب تختص بأداء المعلم :

أ ـ ارشاد المتعلم وتوجيه الى العلوم المناسبة .

ب ـ مراعاة التدرج والفروق الفردية .

جـ ـ الشفقة والنصيحة .

ثانياً : آداب تختص بالمتعلم :

أ ـ آداب المتعلم مع ربه :

ـ النيـه .

ـ التوكل .

ـ الـورع .

ـ الاكثار من الصلاة والسنن .

ـ الشكر والذكر .

ـ الدعاء .

ب ـ آداب المتعلم مع نفسه :

ـ شغل النفس بأعمال الخير .

ـ الاحتراز مع الاخلاق الذميمة .

ـ تقليل العلائق الدنيوية .

ـ الا يجهد نفسه حتى لا ينقطع عن العمل .

جـ ـ آداب المتعلم مع غيره :

ـ آدابه مع المعلم .

ـ آدابه مع الشريك .

ثالثاً : المنهاج عند برهان الدين الزرنوجي :

ـ علم الحال .

ـ علم بعض الأحابين .

أولاً : آداب المعلم عند برهان الدين الزرنوجي :

١ ـ آداب تهتم بشخصية المعلم :

الادابية الخاصة بالمعلم تصح في بعض مبادئها على المتعلم أيضاً بل هى قواعد عامة للنشاط الاجتماعي والعلائقى . وفى كتابه يسهب المفكر التربوي في تجميع المعلومات المثالية الطابع الداعية لتكوين شخصية المعلم الحق . وهى تتعلق بما يلي :

أ ـ ***المظهر اللائق*** :

يؤكد الزرنوجي في كتابه على ضرورة المظهر الحسن للمعلم أمام متعلميه مستشهداً بقول أبي حنيفة رحمه الله لأصحابه : " عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم " ، إنما قال ذلك لئلا يستخف بالعلم وأهله (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩٦) .

إن المتأمل لمباديء الإسلام وتوجيهاته وأحكامه يجد أن من أهم المباديء والتوجيهات الخاصة بالمظهر اللائق للإنسان وتتمثل في الحث على النظافة ، والطهارة ، والنقاء ، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ « سورة المدثر ، آية : ١ ـ ٤ » .

كما حث الإسلام على حسن المظهر في قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾ « سورة الأعراف ، آية : ٣١ » .

فالواجب على المعلم أن يطبق هذه التوجيهات الإسلامية بأن يكون قدوة لمتعلميه وبالمظهر اللائق يكسب احترامهم .

ب ـ ***العلم والورع*** :

يقول الزرنوجي في إختيار المعلم : " ينبغي أن يختار الأعلم والأورع والأسن " (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٠) .

إن العلم هو جوهر الرسالة الإسلامية التى كلف الله رسوله الكريم ﷺ بأدائها ، ومنذ أول وحي أوحي به إلى الرسول ﷺ ، أمره وكل من اتبعه ومن آمن به أن يطلب العلم من الله ، وأن ينشره بين الناس ، وذكره بإنعام

الله علــى الإنســان بالعلم وذلك في قـوله تعـالـى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ « سورة العلق ، آية : ١ ـ ٥ » ،

وفي الآيات الكريمة تنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علق ، وأن من كرمه تعالى على عباده أن علم الإنسان مالم يعلم ، فشرفه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٥٦٤) . قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ « سورة المجادلة ، آية : ١١ » ، إن العلم هو شعار الإسلام وهو وسيلة المسلم للقيام بواجباته الدينية والاجتماعية فينبغي أن لا يتعرض للتعليم إلا من اكتملت أهليته وشهد له بذلك وان لا يطلب على التعليم اجراً ويقصد جزاءً وشكوراً وان لا يذل العلم وان يعمل بعلمه وان يستزيد من العلم حتى يتمكن من العلم الذى يعلمه ، ولا يكتفي بذلك وإنما يستمر في طلب العلم وتحصيله ، وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ « سورة طه ، آية : ١١٤ » ، وقال تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ « سورة القيامة، آية : ١٦ ـ ١٩ » ، وينبغي للمعلم أن يأخذ نفسه بالورع ـ والورع هو التحرج ، والورع بكسر الراء : الرجل التقي المتحرج . الورع في الأصل : الكف عن المحارم والتحرج منها ، والورع : الكف عن القبيح . (ابن منظور ، د. ت ، ص ٣٨٨)

ويجب على المعلم أن يكون تقياً في سلوكه وممارساته مع المتعلمين فلا يحط من قدر العلم سواء كان ذلك في مظهره أو ما يطلبه من المتعلمين في منافعه الشخصية إذ إن الورع من أسس العمل التربوي ، ويجب أن يتحرى المعلم الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله ؛ ليستنير قلبه ؛ ويحرص على شرف المهنة التي ينتمي إليها من خلال محافظته على مبادئها وقيمها . (ابن جماعة ، د. ت ، ص ٧٥)

ولا شك أن المعلم هنا هو الفقيه ، فالإهتمام ديني لكن ذلك يتسع ويتعمم على كل مجالات التدريس ، إذ المطلوب من كل معلم صفات مهنية اختصاصية وأخرى شخصية تنصب على سلوكه غير منفصلة عن علمه وعمله ؛ غير محصورة النفع على فئة ولامقيدة بالمنفعة الذاتية أو الأجر المادى وحده .

جـ - ***التواضع*** :

يقول برهان الدين الزرنوجي :

" وينبغي للمعلم ألا يذل نفسه بالطمع في غير مطمع ، ويتحرر عما فيه مذلة العلم وأهله ، ويكون متواضعا . والتواضع بين التكبر والمذلة والعفة " (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩٥) .

فالمعلم عند الزرنوجي لابد وأن يكون متواضعاً في مسلكه ، والتواضع هو حالة متوسطة بين التكبر وذل النفس . قال تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ « سورة الشعراء ، آية : ٢١٥ » . قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ « سورة القصص ، آية : ٨٣ » . وقد حرص الإسلام على صفة التواضع في المسلم ؛ وسيرة الرسول ﷺ مثالاً حياً في التواضع وخفض الجناح ولين الجانب وسماحة النفس حتى كان التواضع متجسداً في شخصيته ﷺ . وهكذا يجب أن يكون المعلمون ليستطيعوا أن يجسدوا الأخلاق العالية في نفوس المتعلمين . (راشد ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٨)

وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد » .

(أبوداوود ، باب التواضع ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٩م ، ص ٢٠٣)

د ـ **الحلم والصبر** :

قال الزرنوجي :

" اختار أبو حنيفة رحمة الله تعالى حماد بن سلمان رحمه الله بعد التأمل والتفكير ، وقال : وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٠)

والحلم : هو الطمأنينة عند سورة (ثورة) الغضب ، وقيل تأخير مكافأة الظالم . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٢٦) ، وهو بذلك يشير إلى أن المعلم لابد أن يكون حليماً صبوراً . والصبر : أصله الحبس . (ابن منظور ، د. ت ، ص ٤٣٨) ، وعند الجوهري الصبر : حبس النفس عند الجزع . (الجوهري ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٧٠٦)

فلابد أن يكون المعلم صبوراً حليماً على المتعلمين وواجبه أن يحبس لسانه عن الشكوى ، ويرضى بقلبه ، ويطمئن بما كتب الله له وقضاه . (جبران ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٤) ، والصبر : قوة خفية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المشاق والمتاعب ، ولعظمة الصبر والتحمل فإن من تحلى به له الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه وتعالى أعلن حبه للصابرين ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ « سورة آل عمران ، آية : ١٤٦ » ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ « سورة البقرة ، آية : ١٥٣ » ، وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ « سورة لقمان ، آية : ١٧ » .

فالمعلم الصبور لابد أن يضع حداً فاصلاً بين مشكلاته الخاصة ومتاعبه وبين عملية التعليم فلا يجعل عمله يتأثر بها بل تكون لديه القدرة على تحمل المشاكل العملية والتعليمية ومعالجتها بعيداً عن مشاكله ومتاعبه . (الحاج والعقيل ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ص ١٠٢) ، فلا يضيق بأسئلة المتعلمين ، ويفتح لهم باب الحوار والمناقشة معه ، ويشعر كل فرد منهم بأهمية سؤاله ؛ لأن المتعلمين في موقف تعلم ؛ وحين يسألون يكون هدفهم المعرفة ، وهذا من حقهم .

وقد وضع الرسول ﷺ الأسس العامة وكان هو القدوة الحسنة لكل المعلمين ، من حيث استعمال الرحمة والرأفة والصبر والحلم ، والتيسير على المتعلمين ، وقد كان ينصح عماله الذين يرسلهم إلى البلدان التي دخلت في الإسلام في عهده فيأمرهم بالرحمة والتيسير ، فقد قال لأبي موسى ، ومعاذ بن جبل عندما بعثهما إلى اليمن « يسرا ولا تعسرا وعلما ولا تنفرا » . (حسن ، ١٩٨٥م ، ص ٢٦٨) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » (ابن ماجه ، باب العلم ، د. ت ، ص ٨٠). وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ « سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ » . وهكذا يبين القرآن أسباب نجاح الرسول المعلم الأول في تبليغ الرسالة .

٢ ـ آداب تختص بأداء المعلم :

أ ـ *إرشاد المتعلم وتوجيهه إلى العلوم المناسبة* :

وفي ذلك يقول الزرنوجي :

" كان الشيخ الإمام الأجل الأستاذ شيخ الإسلام برهان الحق والدين رحمه الله تعالى يقول : كان طلبة العلم في الزمان الأول يفوضون أمورهم في التعلم إلى أستاذهم ، فكانوا يصلون إلى مقاصدهم ومرادهم ، والآن يختارون بأنفسهم فلا يحصل مقصودهم من العلم والفقه ، وكان يحكي أن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله كان بدأ بكتاب الصلاة على محمد بن الحسن المشتهر بالإمام الرباني من الأئمة الحنفية ، فقال له محمد رحمه الله تعالى : اذهب وتعلم علم الحديث ، لما رأى أن ذلك العلم أليق بطبعه فطلب علم الحديث فصار فيه مقدماً على جميع أئمة الحديث " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١١٤)

وهو بذلك يؤكد أن على المعلم أن يوجه متعلميه إلى إختيار كل ما يرى إنه مفيد ويتناسب مع قدراتهم وميولهم واستعدادهم الفطري ، على أن يراعي حاجة المجتمع المسلم وطبيعته .

ب ـ ***مراعاة التدرج والفروق الفردية*** :

وقد أشار الزرنوجي إلى هذين المبدأين التربويين الهامين وفيهما يقول :

" وينبغي أن يبتدئ بشيء يكون أقرب إلى فهمه . وكان الإمام الأستاذ شرف الدين رحمه الله تعالى يقول : الصواب عندي في هذا ما فعله مشايخنا رحمهم الله ، كانوا يختارون للمبتدئ صغار المبسوطة ، لأنه أقرب إلى الفهم والضبط ، وأبعد عن الملالة ، وأكثر وقوعاً بين الناس " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٣٦) .

والمعلم القدير يستطيع أن يستخدم مبدأ التدرج في تقديم معلوماته ، فيبدأ بالسهل ثم يتدرج إلى الصعب ، وأن يتلاءم ما يقدمه مع المستوى العقلي للمتعلمين ، ويناسب أعمارهم الزمنية والعقلية ، وينبع من بيئتهم الاجتماعية ودرجة نضوجهم الانفعالية والعاطفية . (الهاشمي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٤١١)

والتربية الإسلامية في جوهرها الأصيل تسلك في بعض عملياتها التربوية للفرد والجماعة منهجاً متدرجاً على مراحل ، ويمكننا أن نلاحظ ذلك في الأمور التالية :

١ ـ تدرج نزول القرآن مفرقاً في مجال زمني استمر (٢٣) سنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

٢ ـ تدرج إرساء قواعد العقيدة والفكر الإسلامي ، وقد استغرق حوالي (١٣) سنة مدة إقامة الرسول ﷺ في مكة المكرمة من البعثة إلى الهجرة ثم التشريع ووضع قواعد الدين الإسلامي من عبادات وعقائد ، ثم الأسس التى قامت عليها الدولة الإسلامية ، وكل هذا في المدينة المنورة .

٣ ـ تدرج دعوة الناس فرداً فرداً ، وقد بدأ الدعوة سراً ، حيث بدأت الدعوة إلى التربية الإسلامية في منزل الرسول ﷺ أولاً ، ثم كان اللقاء في دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ رضي الله عنه ـ قرب الصفا بجوار المسجد الحرام .

٤ ـ تدرج تغيير بعض العادات السيئة المستحكمة والمتفشية مثل شرب الخمر . (الهاشمي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٤٠٩) . في قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ « سورة البقرة ، آية : ٢١٩ » .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ « سورة النساء ، آية : ٤٣ » ، ثم قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ « سورة المائدة ، آية : ٩٠ » .

كما أن على المعلم أن يراعي التفاوت بين المتعلمين في الذكاء والمرونة والاستجابة ، وهذا التفاوت يعود إلى عوامل الوراثة ، وإلى مؤثرات البيئة ، أي إلى عوامل النشأة والتربية ، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الفروق بين الأفراد وإلى ضرورة إعتبارها عند معاملتهم . (راشد ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٨) ، قال عز وجل : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ « سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ » ، وقال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ « سورة الطلاق ، آية : ٧ » .

وقال ﷺ : « أمرنا أن ننزل الناس منازلهم » رواه مسلم .

(صحيح مسلم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٦)

وقد ثبت أن التعلم لا يتم إلا إذا وصل الفرد إلى درجة من النضج والإستعداد تسمح له بهذا التعلم كما أن التعلم لا يكون بمعدل واحد ، بل كل متعلم يتعلم بمعدله هو أي حسب إستعداده وقدراته وخبراته .

جـ ـ ***الشفقة والنصيحة*** :

وفي ذلك يقول الزرنوجي :

" وينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقاً ناصحا ، وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله يقول : قالوا إن ابن المعلم يكون عالماً ، لأن المعلم يريد أن يكون

تلاميذه علماء ، فببركة اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالماً ، وكان يحكي أن الصدر الأجل برهان الأئمة رحمه الله جعل وقت السبق لا بنيه الصدر الشهيد حسام الدين والصدر الشهيد تاج الدين رحمهما الله تعالى وقت الضحوة الكبرى بعد جميع الأسباق وكانا يقولان طبيعتنا تكل وتمل في ذلك الوقت ، فقال أبوهما إن الغرباء وأولاد الكبراء يأتونني من أقطار الأرض فلابد أن أقدم اسباقهم ، فببركة شفقته تفوق أبناؤه على أكثر فقهاء أهل الأرض في ذلك العصر في الفقه " .
(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٥٧)

وهو بذلك يوجه المعلم لأن يكون شفوقاً على المتعلمين ، وأن يجريهم مجرى بنيه ، فلا يجعل بينه وبينهم سداً خاصة خارج مكان الدرس ، ولا يشعرهم بضيقه إذا ما أرادوا الاستفادة منه في أي وقت ، وأن يكون قدوة لهم . قال ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد » . (أبو داود ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ، ص ١٨) ، فعلى المعلم أن يمثل الأب في عدله وصبره وحلمه وحبه للجميع ، وأن يكون شفيقاً ناصحاً . وأن يزود المتعلم بالعلوم النافعة ، والنصائح الصائبة . وأن يشترك مع المتعلم في كثير من الأعمال ، ولا يعتقد أن ذلك يقلل من تقديره ، واحترامه ، لأن الاحترام يزداد بالصلة الروحية الحسنة ، وأن يحاول أن يكون صديقاً وأباً ومرشداً لتلاميذه ، حتى تصبح روح العلاقة بين المعلم والمتعلم روح وفاء وإجلال وتقدير .
(الأبراشي ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ، ص ٢١٦)

ثانياً : أهم آداب المتعلم :

إستناداً على كتاب الزرنوجي يمكن تصنيفها لما يلي :

أ - ***آداب المتعلم مع ربه*** :

النيه : يقول الزرنوجي :

" ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم إرضاء الله تعالى والدار الآخرة ، ثم إزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال ، وإحياء الدين وإبقاء الإسلام ؛ وينوي به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن . ولا ينوي به إقبال الناس إليه ولا استجلاب حطام الدنيا ، والكرامة عند السلطان وغيره " .
(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩٣)

والنية : نوى الشيء : أي قصده . (ابن منظور ، د. ت ، ص ٣٤٨)

وقال الجوهري : نويت نية : أي عزمت . (الجوهري ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٥١٦)

وفي الاصطلاح : عزم القلب على فعل الشيء لغرض معين ، وقد بين لنا ﷺ أن جميع الأعمال لابد لها من نية . إذ لا عمل بدون نية .

والنية الصالحة لها أثر كبير في التوفيق في العمل قال تعالى : ﴿ إِنَ يُرِيدَآ إِصۡلَاحاً يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ « سورة النساء ، آية : ٣٥ » .

وعلى العكس من ذلك إذا ساءت النية ، وفسد القصد فإن العمل الصالح يحبط أجره ، ويضيع ثوابه ، ويكون جزاؤه العذاب والخزي يوم القيامة . (العبيد ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٩٣)

فإخلاص النية مطلوب من المتعلم ، لأنها الوسيلة اللازمة لتيسير الحصول على العلم وفهمه ولحصول ثواب الله تعالى في الدنيا والآخرة وإن ابتغاء العلم في غير ذلك موجب لسخط الله تعالى ، والدليل قوله ﷺ : « من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله عز وجل بتعلمه ، إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرض الجنة يوم القيامة » .

(أبوداود ، باب العلم ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ، ص ٧١)

وإستناداً لما ورد عن الزرنوجي فإن عملية التعلم تصبح تعبدية إذا أُحسنت فيها النية ، وهذا ما تهدف إليه التربية الإسلامية . ولهذا يحث طالب العلم على نشر العلم ، والعمل على نشر الدعوة الإسلامية . كما أنه يحذره أن يكون قصده من طلب العلم الفوز بالدنيا ، ويعلل ذلك بأن الدنيا حقيرة وقصيرة وفانية ، وأن طالب العلم يبذل جهداً كبيراً في تحصيله للعلم فعليه أن يكسب به رضاء الله لا سخطه . والزرنوجي يبين لنا جانبين للنية في حال التعلم :

١ ـ جانب إيجابي .　　　　٢ ـ جانب سلبي .

الجانب الايجابي : أن تكون نية المتعلم في طلب العلم متجهة إلى :

١ ـ رضاء الله .
٢ ـ الدار الآخرة .
٣ ـ إزالة الجهل عن النفس .
٤ ـ إزالة الجهل عن سائر الأجهال .
٥ ـ إحياء الدين وإبقاء الإسلام .
٦ ـ الشكر على نعمة العقل وصحة البدن .

الجانب السلبي : أن تكون نية المتعلم في طلب العلم بغرض تحقيق :

١ ـ إقبال الناس إليه .

٢ ـ استجلاب حطام الدنيا .

٣ ـ الكرامة عند السلطان وغيره .

هذا وترى الباحثة بأن النية الخالصة في العمل التربوي ومنذ البداية حتى بلوغ الهدف ؛ هي أساس وطريقة وقصد ، وبدون النية لا تحقق عملية التعلم في جانبيها : الإفادة والاستفادة .

التوكل :

قال الزرنوجي :

" ثم لابد لطالب العلم من التوكل في طلب العلم ، ولا يهتم لأمر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك . روي أبو حنيفة رحمه الله عن عبدالله بن الزبيدي رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ من تفقه في الدين كفاه الله تعالى همه ؛ ورزقه من حيث لا يحتسب " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٥٠)

فالتوكل : هو الاعتماد والاستعانة . (الفيروز أبادي ، د. ت ، ص ٣١٣)

والتوكل : هو الثقة بما عند الله ، واليأس عما في ايدى الناس . (الجرجاني ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٠٠)

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ « سورة الطلاق ، آية: ٣ »، وقال جل وعلا : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ « سورة النساء ،

آية : ٨١ » ، وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ « سورة المائدة ، آية : ٢٣ » .

قال ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً » . (الترمذي ، د. ت ، ص ٤٩٥)

الـورع :

قال الزرنوجي :

" وروي بعضهم حديثاً في هذا الباب عن رسول الله ﷺ أنه قال : من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله تعالى بأحد ثلاثة أشياء : إما أن يميته في شبابه ، أو يوقعه في الرساتيق* أو يبتليه بخدمة السلطان " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٦٤)

والزرنوجي يشير على المتعلم أن يقتدي بالسلف من العلماء الصالحين في تورعهم عن كثير مما كانوا يفتون بجوازه ، وأحق من يقتدى به في ذلك رسول الله ﷺ ؛ حيث أنه لم يأكل الثمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة مع عدم كونها كذلك ، ولأن أهل العلم يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ، فإذا لم يتخذوا الورع صفة يتصفون بها فمن يتصف بها .

(ابن جماعة ، د. ت ، ص ٧٦)

ويرى الزرنوجي أن أئمة العلم قد وفقوا للعلم بسبب ورعهم ؛ حتى بقي اسمهم إلى يوم القيامة ، فكلما كان طالب العلم أكثر ورعاً كلما كان علمه أنفع ، وقد ربط الزرنوجي بين الورع والنفع والفائدة وبين الورع ويسر التعلم ؛ فأدرك الصلة الوثيقة بين الورع وبين سهولة التعلم ويسره ؛ ومن ثم الانتفاع بما تعلمه وإتقانه فيرى أنه : " كلما كان طالب العلم أورع ، كان علمه أنفع والتعلم له أيسر ، وفوائده أكثر " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٦٤)

---

* الرساتيق : تعني الريف أو القرى .

الصلاة والسنن :

ينصح الزرنوجي المتعلم أن يكثر من الصلاة ، ويصلي صلاة الخاشعين يقول:

" وينبغي لطالب العلم ألا يتهاون بالآداب والسنن فإن من تهاون بالسنن حرم الفرائض ؛ ومن تهاون بالفرائض حرم الآخرة " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٦٦)

فالصلاة وما يلزمها من الطهارة ، وما يتبعها من سنن منهج قولي وعملي يجعل المتعلم على صلة مستمرة بالله ، وفي الصلاة وتلاوة القرآن ذكر واستغفار ودعاء وصلاة على الرسول ﷺ . وهي منهج تعليمي تربوي ؛ فلها مواقيت تؤدي فيها موزعة خلال اليوم تذكر المتعلم بالوقت وأهميته ، وتغرس فيه عادة التنظيم ؛ والصلاة عندما تكون في جماعة تربي المتعلمين على التعاون والنصرة والتكافل ويكونوا أمة واحدة يعبدون رباً واحداً . وفي طهارة الأعضاء بالوضوء تعويد المتعلم على النظافة . ويستحب معها التطيب والسواك . (خليل ، د. ت ، ص ١٦٨)

الشكر والذكر :

يقول الزرنوجي :

" فانه سبب زيادة العلم لأنه شكر على نعمة العقل والعلم . وقال أبو حنيفه رحمه الله تعالى إنما أدركت العلم بالحمد والشكر " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤٤)

" وينبغي لكل مسلم أن يشغل نفسه في جميع أوقاته بذكر الله تعالى والدعاء والتضرع وقراءة القرآن " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٩)

والشكــر :

عبارة عن مقابلة النعمة بالمعروف سواء باللسان أو باليد أو بالقلب ، وقيل هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه ، فالعبد يشكر الله أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة ، والله يشكر العبد أي يثني عليه بقبول إحسانه الذي

هو طاعته . أي إنه فعل ينبيء عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الشاكر . وعرفاً : هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر فيما خلق لأجله ، أي فلا يصرف شيئاً من جوارحه إلا في طاعة الله ، وهذا صعب إلا على من وفقه الله وأعانه . وإما الشكر اللغوي : فهو الاعتراف بالنعمة على وجه التعظيم والتبجيل من اللسان والجنان والأركان للمنعم . (الجرجاني ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٧)

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ « سورة إبراهيم ، آية : ٧ » .

والشكر والذكر من أهم الطاعات وأكبرها ، ولذا ذكرهما الله في مواضع عديدة من القرآن الكريم وحث عليهما فقد قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ « سورة البقرة ، آية : ١٥٢ » .

والثابت عن الرسول ﷺ أنه كان يكثر من الأذكار في جميع الأحوال ؛ إذا نام ؛ وإذا استيقظ ؛ وإذا أصبح ؛ وإذا أمسى وكان يذكر الله في السفر راكباً وماشياً ؛ بالاضافة إلى الذكر في الحج ؛ وقبل الصلاة وبعدها وكما بين ﷺ كيفية الذكر فإنه علم الصحابة صيغاً كثيرة ، منها قوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مره كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت مائة حسنه ، ومحيته عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء . إلا رجل عمل أكثر منه » رواه البخاري .

(البخاري ، باب فضل التهليل ، ١٤٠٠هـ ، ص ١٧٢)

وقال عليه السلام : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم » (البخاري ، باب فضل التسبيح ، ١٤٠٠هـ ، ص ١٧٣) ، ويكون الذكر في

كل الأحيان وجميع أحوال المسلم قائماً وقاعداً له وحده ، وتحرير النفس من العبودية لغيره ، ومن الذل لسواه ، ومن الخوف إلا منه ، ومن الرجاء إلا فيه ، ومن التوكل إلا عليه ، وتلك هي الحرية بأسمى معانيها التى تتحقق في العبودية لله . (خليل ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٥)

وبذلك يحث الزرنوجي المتعلم أن يكون سلوكه نتاج عقيدته ، وتصديقاً بالعمل لما في قلبه من الإيمان وما في عقله من قبول هذا الإيمان .

الدعـــاء :

يقول الزرنوجي :

" ويدعو المتعلم الله تعالى ويتضرع إليه ، فإنه يجيب دعاه ولا يخيب رجاه " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٣٧)

قال تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ « سورة غافر ، آية : ٦٠ » .

هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ص ٩٢) ، وعن النبي ﷺ : « الدعاء هو العبادة » . (ابن حنبل ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص ٢٩٧)

والدعاء له أهمية كبرى في تعليم وتربية المتعلم المسلم فهو يعلمه أن الله هو الغني الرازق الذي يجيب الدعاء ويسمع النداء . وأن الخلق كلهم مفتقرون إلى الله ، محتاجون إليه ، وأنه هو وحده الذى يطلب منه ولا يطلب من غيره ، ، لأن غيره لا يضر ولا ينفع . ففي الدعاء تعويد على الاستغناء بالله عمن سواه ، وتصحيح التوحيد يجعل المسألة وغير ذلك من أعمال الخير كالعبادات من صلاة وصيام وحج وصدقة وقراءة القرآن والجهاد في سبيل الله وزيارة المريض وإماطة الأذى عن الطريق وإكرام الضيف ومساعدة الجيران وغير ذلك من مكارم الأخلاق التى ينال بها المتعلم خير الدنيا والآخرة .

فعلى المتعلم شغل نفسه بهذه الأمور حتى تتأصل في نفسه ذلك أن المعاصي تعوق تركيز المتعلم في العلم ، بل إن المعلومات لا تثبت في ذهنه ، ثم إن

مجرد التفكير في ارتكاب الإثم يعطله عن التعلم ، ويعكر صفو نفسه ، لإن التعلم لا يتم إلا عند انشراح النفس والإقبال عليه بجمع الهمة والتركيز الكامل . (يالجن ، ١٤٠٢هـ ، ص ٨٥) ، فالعلماء لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا باجتناب المعاصي والاستقامة وبذل الجهد على العلم .

ب ـ آداب المتعلم مع نفسه :

١ ـ شغل النفس بأعمال الخير :

هذا ما يؤكده الزرنوجي للمتعلم بقوله :

" ينبغي لكل أحد أن يشغل نفسه بأعمال الخير " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٥١)

يسعى الإسلام بأن يكون شغل المتعلم موجه نحو الخير ومن هذه الصفات والقيم التقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ « سورة الحجرات، آية: ١٣» ولا يتم هذا التوجه للمتعلم إلا إذا اتصف بصفات المؤمنين ، وتحلى بالقيم وإخلاص النيه لله والتي تكفل الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ « سورة البينة ، آية : ٥ » ، والصبر : يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ « سورة الزمر ، آية : ١٠ » ، والصدق : يقول تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ « سورة التوبة ، آية ١١٩ » ، والاستقامة : يقول تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ « سورة هود ، آية : ١١٢» ، والتوكل على الله : يقول تعالى :﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ « سورة إبراهيم ، آية :١٢: » ، والتعاون على البر والتقوى : يقول تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ « سورة المائدة ، آية : ٢ » ، والنصيحة المتبادلة : يقول تعالى:﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ « سورة العصر، آية : ١ ـ ٣ » ، والعدل : يقول تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ « سورة النحل، آية : ٩٠ » ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : يقول تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ « سورة آل عمران ، آية : ١١٠ » ، ومراقبة الله في السر والعلن: يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ « سورة آل عمران ، آية : ٥ » ، ومضطجعاً قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ « سورة آل عمران ، آية : ١٩١ » .

وأهمية الذكر كمنهج تعليمي تربوي : هي أنه يذكر المتعلم الله في كل وقت ؛ فيترتب على ذلك خشية الله وتقواه والخوف منه ، وحبه وموالاته ، وبغض أعدائه ومعاداتهم ، كما يعتبر الذكر علاجاً لوساوس النفس والشيطان ، فإذا ذكر الله خنست الوساوس وخنس معها الشيطان . (خليل ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٤) ، كما أنه يعطى المتعلم سكينة تساعده على طلب العلم بهمة ونشاط لقوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ « سورة الرعد ، آية : ٢٨ » ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ ﴾ « سورة الأعراف ، آية : ٢٠١ » .

٢ ـ الاحتراز من الأخلاق الذميمة :

قال الزرنوجي :

" ينبغي لطالب العلم أن يحترز من الأخلاق الذميمة " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١١٥)

إن تعلم العلوم يتطلب روحاً شفافة وقلباً ، نظيفاً صافياً ووجدانا بريئاً من كل إثم وعقلاً هادئاً ، وهذا لا يتحقق إلا بالاحتراز من الأخلاق الذميمة وبتجنب المعاصي والآثام ظاهراً وباطناً ، لأنه إن لم يتركها كان قلقاً مشتت النفس والوجدان منهك القوى . مما يؤثر سلباً على عملية تعلمه ومن الأخلاق الذميمة التي نهى عنها ديننا الإسلامي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الكبر ، والنفاق ، الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والغدر ، والحسد ، وقد وصف

الرسـول ﷺ للمؤمنين صـورة الشخص المنافـق حتى يجتنبوها فقال ﷺ : « من عـلامـات المنافق ثلاث : إذا حـدث كـذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » . (البخاري ، باب علامة المنافق ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٧)

وكذلك قوله ﷺ : « تجـد من شـر الناس يوم القـيـامـة عند الله ذا الوجـهـين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » .

(البخاري ، باب ما قيل في ذي الوجهين ، ١٤٠٠هـ ، ص ١٠٢)

أما الكذب فقد قال عنه ﷺ : « إن الصـدق بر ، وإن البـر يهـدي إلى الجنة ، وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب فجور وإن الفـجـور يهـدي إلـى النار ، وإن العـبد ليـتحرى الكذب حـتى يكتب عند الله كـذاباً » .(مـسلم ، باب قـبح الكذب وحـسن الصـدق وفـضله ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٣٩٧)

ومن السمات المذمومة الغيبة والنميـمة والغـدر ، فعلى المسلم أن يجتنبها ، وقد قـال ﷺ منفـراً من النميـمة : « لا يدخــل الجنة نمّـام » رواه مسلم .

(مسلم ، باب بيان غلظة تحريم النميمة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٤٧٢)

فالأخلاق الذميمة تشغل طالب العلم عن علمه ، وإن علمه وفهمه وجودة ذهنه وفصاحته من نعم الله عليه ، فعليه أن يرعاها حق رعايتها بالتحلي بالأخلاق الفـاضلة ، وأن يطهـر نفسـه من كل غش ودنس وغل وحـسـد وسـوء عـقيـدة ؛ ليـصلـح بذلك لقـبول العلم وحـفظه والاطلاع على دقـائق مـعانيـه وحـقـائق غوامضه . (ابن جماعه ، د. ت ، ص ٦٧) ، فالعلم لا يصح إلا بطهارة القلب من خبث الصفات ومساويء الأخلاق .

٣ ـ تقليل العلائق الدنوية :

قال الزرنوجي :

" ولابد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٥١)

لأن الانشغال بالعلائق الدنيوية تبعد المتعلم عن تحقيق الهدف من التعلم من طلب رضاء الله وإخلاص النية له، والوصول إليه لا يتم والمتعلم منشغل الفكر ،

فلن يستطيع أن يعطي العلم حقه أو أن يقوم به خير قيام من تفقه وحفظ لأن التعليم يحتاج لصفاء الذهن وتكريس الوقت والجهد وعلى المتعلم أن يسعى لطلب الرزق بما يكفيه ومن يعول ، ولا يجعل المناصب وكثرة المال همه . قال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ « سورة الأنعام ، آية : ٣٢ » ، وقال ﷺ : « من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار ». (الترمذي، باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا، د. ت، ص٣٢)

٤ ـ ألا يجهد نفسه حتى لا ينقطع عن العمل :

وفي ذلك يقول الزرنوجي :

" ولا يجهد نفسه جهداً ، ولا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل ، بل يستعمل الرفق في ذلك ". (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٢١)

فينبغي للمتعلم ألا يجهد نفسه في طلب العلم ، بل يكون متوسطاً لا ينهك فيه قواة مخافة السآمة والملل ، لأن ذلك يؤدي إلى فتور في طلب العلم وكسل المتعلم ، قال الزرنوجي : " إياك والكسل فإنه شؤم ، وآفة عظيمة " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٢٤)

فعلى المتعلم إيجاد الحال الملائم للعلم وللحفظ ، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « إن رسول الله ﷺ كان يتخو لنا بالموعظة مخافة السآمة علينا » وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن للقلوب شهوة وإقبالاً فاغتنموها عند شهوتها ، ودعوها عند فترتها وإدبارها » .

(البخاري ، كتاب العلم ، ١٤٠٠هـ، ص ٤٢)

فالزرنوجي يشير إلى اختيار الأوقات المناسبة للمذاكرة والتحصيل ، وينصح أيضاً بوجوب الانتقال من فن إلى فن ، ومن لون إلى لون ، ومن علم إلى علم إلى علم آخر حتى لا تحدث السآمة والكسل في نفس المتعلم .

جـ ـ آداب المتعلم مع غيره :

أ ـ آدابه مع المعلم :

يجب على المتعلم أن يحترم معلمه ، ويوقره وأن يؤدي حقه ، وأن يتواضع له ، ولا يخرج عن رأيه وتوجيهه ، وأن ينظر له بعين الاحترام ، وأن يستفيد منه ، ولا سيما إن كان ممن يتصف بالصلاح ويتسم بالتقوى ويتميز بمكارم الأخلاق . وأن يصبر عليه .. ولقد كان الأوائل يحرصون على من يتخذونه معلما فيلازمونه ، وينقادون له صابرين منقادين مطيعين ، حتى إن بعضهم اتخذ ملازمة العلماء شرطاً من شروط التحصيل العلمي .

ومن أمثلة التواضع للمعلم أن ابن عباس رضي الله عنهما أخذ بركاب زيد بن ثابت الأنصاري وقال : « هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا » .

(العسقلاني ، د. ت ، ص ٩٢)

ومن الآداب التي ذكرها الزرنوجي في كتابه (ص ، ١٠٨) ألا يمشي أمامه ، ولا يجلس مكانه ، ولا يبتدىء الكلام قبله إلا بإذنه ، ولا يكثر الكلام عنده ، ولا يسأله عند ضجره وسأمه وأن يراعي الوقت ، ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج ، ولا يجلس قرب الأستاذ . أي أن يفعل كل ما يجلب رضاه ويتجنب سخطه ، ويمتثل أمره في غير معصية لله ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله .

ب ـ آدابه مع شريكه :

يرى الزرنوجي أن على المتعلم أن يجالس الصلحاء ويتقرب منهم ، لأن المجاورة مؤثرة لا محالة ؛ وأن يغتنم دعوة أهل الخير ، ويحترز من دعوة المظلوم . فعلى المتعلم في هذا المقام أن يلزم الرفيق الصالح الذي يتواصي وإياه بالحق ، والصبر والإكثار من الذكر . ففي ذلك تزكو الروح ، وتصقل النفس ، ويصفو القلب ، وتخالط كيانه بشاشة الإيمان . (الهاشمي ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م ، ص ٥٢) ، لأن المسلم مسؤول عن تقوية روحه وتزكية

نفسه ، ودفعها دوماً إلى أعلى .. قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ « سورة الشمس ، آية : ٩ – ١٠ » .

ومصاحبة الأخيار من الاقران لها تأثير إيجابي على تربية المتعلم وهم القوة الدافعة إلى الخير ، وقد بين القرآن الكريم أهمية ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ « سورة الكهف ، آية : ٢٨ » .

وهكذا فإن المتعلم مطالب بأن يحسن اختيار شريكه الذي لا يزيده إلا إيماناً وصلاحاً وتقوى وتبصرة ، وأن يعرض عن رفاق السوء لما في ذلك من آثار سلبية على تربيته . قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ، آية : ٧١ » .

ثالثاً : المنهاج عند برهان الدين الزرنوجي :

لا يفترض الزرنوجي لطالب العلم المسلم أن يتعلم كل العلوم وإنما يفترض عليه أن يتعلم علم الحال وعلم ما يقع في بعض الأحايين :

" أفضل العلم علم الحال ، وأفضل العمل حفظ الحال ، ويفترض على المسلم طلب ما يقع له في حاله في أي حال كان " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٣)

وبهذا يكون قد حدد المنهاج في إطار نوعين من العلوم هما :

١ ـ علم الحال .

٢ ـ علم بعض الأحايين .

١ ـ ***علم الحال*** :

علم أصول الدين وعلم الفقه . والمراد به هنا الأمور العارضة للإنسان في حياته كالإيمان ومعرفة أحكام العبادات والمعاملات وأحوال القلوب والأخلاق الضرورية ، فلأجل أن يكون مؤمناً يجب أن يتعلم ما يصل به إلى الإيمان من علم أصول الدين . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٣)

وجعل علم الحال فرض عين : وهو المطلوب من كل مكلف أو هو ان يعلم المكلف مالا يتأدى الواجب الذي تعين عليه إلا به : وهو ثلاثة أقسام : اعتقاد ، فعل وترك . (الشيخ ، ١٤١٢هـ ، ص ٧٠)

وقد قسم الزرنوجي علم الحال إلى أربعة أقسام :

١ ـ علم العبادات : والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من صلاة وصوم وزكاة .

٢ ـ علم المعاملات : من بيع واجاره وزواج وطلاق ، احتكار ، أكل الربا .

٣ ـ علم أحوال القلب : من خوف ورجاء وتوكل على الله والانابه إليه والذل له وايثار مرضاته في كل حال والتباعد عن سخطه بكل طريق هذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده . (ابن الجوزيه ، ١٤٠٣هـ ، ص ٧)

٤ ـ علم الاخلاق : تشمل الفضائل والبعد عن الرذائل والفضائل وتشمل الاستقامة واصلاح النفس وتزكيتها ـ الاحسان التقوى الصبر العفو والصدق والاصلاح بين الناس التعاون ، الايثار ، الكلام الحسن ، معاشرة الاخيار ، الاستئذان ، التحية .

الرذائل : وتشمل الانقياد لهوى النفس ـ الكبرياء ـ الخمر ـ القمار ـ الزنا ـ الكذب ـ احتقار الغير ـ الظن السيء ـ التجسس ـ الغيبة ـ الغضب ـ الحسد ـ اللغو . (طباره ، ١٩٨٨م ، ص ٤٧٥)

٢ ـ ***علم ما يقع في بعض الأحايين*** :

وجعل علم الحال فرض عين وعلم ما يقع في بعض وعلم ما يقع في بعض الأحايين فرض كفاية ويتضح ذلك من قوله : " واما حفظ ما يقع في بعض الأحايين ففرض على سبيل الكفاية " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٨)

وهو قسمان الأول هو ما لابد للمسلم منه مثل حفظ القرآن ، معرفة رواة الحديث ، الفقه ، النحو ... الخ ، والثاني هو ما ليس علماً شرعياً مثل الطب والحساب فرض الكفاية إذن هو ما ينفع الجميع وإذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين . (الشيخ ، ١٤١٢هـ ، ص ٧٠)

وهكذا يلاحظ أن الزرنوجي يقصد بعلم الحال العلم الذى هو فرض عين كالعلوم الدينية أما علم ما يقع في بعض الأحايين فيقصد به العلوم العقلية كالطب والفلك . هذا وقد جعل الزرنوجي تعلم العلوم على سبيل فرض الكفاية حسب حاجة المجتمع لها . وبين أنه إذ لم يقم أحد بتعلمها من أبناء المجتمع فإن المجتمع يكون

آثماً ويجب على ولى الأمر أن يجبرهم على تعلمها ، وبين لنا أن علم ما يقع على الحال في جميع الأحوال هو بمنزلة الطعام ، ولابد لكل واحد منه ، أما علم ما يقع في بعض الأحايين فهو بمنزلة الدواء يحتاج إليه حين المرض .

وفي هذا يتبين لنا تأثر الزرنوجي بفكر الغزالي الذي عاش قبله حين بين أن العلوم العقليه كالأودية للصحة . والعلوم الشرعية كالغذاء . (الكيلاني ، ١٩٧٨م ، ص ١٥٦)

وترى الباحثة أن خير العلوم هو ما دلت عليه نصوص الكتاب الكريم والسنه النبوية المطهرة ، حيث تقود إلى معرفة الله وخشيته وتقواه والانابه إليه . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ « سورة فاطر ، آية : ٢٨ » .

أي إن العالمين بقدرة الله عز وجل هم الذين قدروا الله حق قدره قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً أَوْ قَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ « سورة الزمر ، آية : ٩ » .

فمن يتعلم ويعلم العلم الذي يقرب من الله والدار الآخرة ، لا يستوى هو ومن لا يعلم ذلك العلم ، كما أن أفضلية علم الآخرة على بقية العلوم لا يلغى أهمية العلوم الأخرى ، وحاجة المسلمين كافة إليها ، وذلك يعنى أن على كل مسلم مكلف وايا كان علمه ـ ألا يحرم نفسه من الاستزادة من هذا الخير .

الفصل الخامس

أولاً :

أ ـ أهم طرق وأساليب التعلم عند الزرنوجي :

١ ـ المناظرة والمطارحة ، المذاكرة والسؤال .

٢ ـ الفهم ، التأمل والتفكير ، التكرار .

٣ ـ الرحلة في طلب العلم .

٤ ـ الكتابة .

ب ـ شروط التعلم :

١ ـ تعظيم العلم وأهله .

٢ ـ اختيار العلم ـ الأستاذ ـ الشريك .

٣ ـ الجد والمواظبة والهمة العالية .

٤ ـ الصبـر .

٥ ـ وقت التحصيل .

٦ ـ اقتران العلم بالعمل .

جـ ـ ١ ـ الأسباب المعينة على الحفظ :

ـ أسباب نفسـية .

ـ أسباب جسمية .

٢ ـ الأسباب المؤدية للنسيان :

ـ أسباب نفسية .

ـ أسباب جسمية .

ثانياً : موقع التربية الحديثة من الفكر التربوي عند الزرنوجي :

أ ـ بعض آراء علماء التربية الحديثة .

ـ چوهان بستالوتزى .

ـ ماريا منتسورى .

ـ چون ديوى .

ب ـ مقارنة فكر علماء التربية الحديثة بفكر برهان الدين الزرنوجي .

ـ الخـاتمـــة .

طرق وأساليب التعلم عند برهان الدين الزرنوجي

يقول الزرنوجي في أهم طرق وأساليب وشروط التعلم عنده ما يلي :

" ولابد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة ؛ فينبغي أن يكون كل منهما بالإنصات والتأني والتأمل ويتحرز عن الشغب والغضب ، فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة ، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب ، وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف ، ولا يحصل بالغضب والشغب ، فإن كان بنيه إلزام الخصم وقهره فلا تحل المناظرة ، وإنما تحل لإظهار الحق " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤١٦هـ ، ص ١٣٩)

من هنا يلاحظ تنوع طرق وأساليب التعلم التي اهتم بها الزرنوجي ومن أهمها :

١ ـ المناظرة والمطارحة ، والمذاكرة والسؤال :

أ ـ ***المناظرة*** :

طريقة من طرائق التربية ، ووسيلة من وسائل التعلم وهي عبارة عن محاورة بين فريقين حول موضوع معين ، لكل منهما وجهة نظر تخالف وجهة نظر الفريق الآخر ، الذي يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه ، مع رغبته الصادقة في إظهار الحق والاعتراف به لدى ظهوره . (الميداني ، ١٤٠١هـ ، ص ٣٨١) ، وبالتالي هي مقيدة بواجب أخلاقي ، فواجب المناظرة أن تخضع للحقيقة وتبحث عن الصواب ، ولا ينبغي أن تقودها العوامل الذاتية كالتحيز والميل للعواطف . وقد وضع لها الزرنوجي أصولاً وهي :

" أن تكون بالانصاف والتأني ، وتكون لاستخراج الصواب ، ولا تحصل بالغضب والشغب ، وتحل لإظهار الحق " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٣٩)

وقد عَرف المربون المسلمون هذه الطريقة التي ينسبها المربون المحدثون إلى الفيلسوف اليوناني سقراط (ت ٣٩٩ ق م) فطوروها وطبعوها بطابع دينهم وأخلاقهم ، وبنوا عليها طريقة المناظرة ؛ التي تعتبر بحق من مميزات التربية الإسلامية .

وقد حددوا للنقاش والجدل والحوار والمناظرة والمطارحة الشروط والأسس العلمية والمبادىء الخلقية ؛ التي ينبغي التقيد بها ؛ حتى لا يتحول الحوار والجدل إلى حوار وجدل مذمومين عقيمين .

وكان لطريقة المناظرة والحوار منذ القديم فضل كبير في تربية التفكير وتنمية العقول وتوسيع آفاقها ، وكثير من العلوم الإسلامية تدين في نموها وتطورها وازدهارها لهذه الطريقة . ويأتي في مقدمتها علم الفقه وعلم أصول الفقه ، فقد كانت المباحث الأولى للفقه الإسلامي تقوم في غالبيتها على المناظرات والمحاورة ، وكانت الإستنباطات الفقهية مدينة في مجموعها للمناظرات والمحاورات العلمية الشريفة . وبالرغم من أن العلماء والمربين المسلمين قد استفادوا من فن المناظرة والحوار والجدل ، ومن محاورات اليونان ومنطقهم ، إلا أن المصادر الأولى الأساسية التي اعتمدوا عليها في ذلك كانت القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وآثار السلف الصالح .

(الشيباني ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ٤١٥ ـ ٤١٧)

واستخدم المعلمون والمتعلمون فن المناظرة في موضوع التعليم وجعلوها أداة تعلم وقد اهتم الأولون باكتساب القدرات والمهارات التي يتطلبها هذا الفن . (قمبر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٠١)

وقد طالب الزرنوجي طالب العلم بالتمسك بالأخلاق العلمية وبين آداب المناظرة التي يجب عليه الالتزام بها وهي :

١ ـ أن تكون لإظهار الحق ولو على يد الخصم .

٢ ـ أن يجتنب الغضب والشغب أثناء المناظرة .

٣ ـ ألا يحتال على خصمه ولا يموه عليه أثناء المناظرة .

وأضاف إليها زيعور ، مجلة الباحث ، ١٩٨٣م ، ص ٥٤ .

٤ ـ التأمل قبل الكلام حتى يكون المتعلم مصيباً .

٥ ـ أن تكون المناظرة مع منصت سليم الطوية .

ب ـ **المطارحة** :

هي « إلقاء القوم المسائل بعضهم على بعض . (الرازي ، د. ت ، ص ٣٨٩)

فهي طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة بين طرفين ، وتتخللها أسئلة وإجابات هدفها تباين الحقيقة أو الواقع ؛ وإزالة الأوهام عن العقول ؛ وإزالة العقبات التي تعترض سبيل التعلم الصحيح . فالحقيقة التربوية تؤكد أنه لابد قبل البناء الفكري السليم من إزالة الفكر السقيم من الإدراك .

قال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ « سورة البقرة ، آية ٢٥٦ » .

وإن الشرط الأساسي لاستمساك المؤمن بالعروة الوثقى والإيمان بالله ووحدانيته خلع الأنداد والأوثان وما يدعوا إليه الشيطان ، ليثبت أمره ؛ ويستقيم على الطريقة المثلى والصراط المستقيم . (ابن كثير ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٥٥٣) ، فالمطارحة هى طريقة فطرية إدراكية للتفكير السليم ؛ أو للتثبيت من الأفكار القائمة فعلاً ، وهى إجراء منطقي يهدف إلى إثبات فكرة أو عقيدة للتأكد من صحتها ، وتستخدم هذه الطريقة في التعلم منطلقة من معلومات المتعلم وقناعته الذاتية أو خبراته الشخصية القائمة ؛ والتي تعتبر معياراً مشتركاً مع الاخرين . إذ يسير المعلم بخبراته مع خبرات المتعلم ذاته وتجاربه ، فما صمد منها على محك النقد أبقى عليه . وما ظهر فيه ضعف كان موضع شك أو إعادة نظر يشعر به المتعلم تلقائياً وذاتياً . وهنا يتبين لنا أهمية هذه الطريقة في التعلم والتربية ، لإنها تقوم على النشاط الذاتي الفكري معاً مع العملي للمتعلم .

(الهاشمي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٤)

وهذه الطريقة تستعمل بصفة عامة في الإقناع والوصول بالمتعلم إلى الحقائق بإتخاذها أساساً لاستخدام منطق العقل والقوى النفسية لتركيزها على

البحث عن الحقيقة . وقد استخدم القرآن هذه الطريقة في كثير من القضايا التي جاء من أجلها لإقناع الناس ولتثبيتها في الأذهان والنفوس . ولنأخذ لذلك مثالاً . قضية عدم الاعتراف بوجود الله سبحانه وتعالى عما يشركون وبعدم وجود البعث بعد الموت . (يالجن ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٩٤)

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ « سورة الجاثية ، آية : ٢٤ » .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ « سورة الأنعام ، آية : ٢٩) .

فرد الله عليهم في القرآن الكريم : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ « سورة الجاثية ، آية : ٢٦ » .

وهكذا يلاحظ أن الزرنوجي يفضل طريقة المناظرة والمطارحة على التكرار لتميزها عن الحفظ ويذكر ذلك في قوله :

" وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لأن فيها تكرار وزيادة ؛ فقد قيل مطارحة ساعة خير من تكرار شهر " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤٠)

جـ ـ المذاكـرة :

مأخوذة من تذكر الشيء إذا نسيه ، والتذكر ضد النسيان ؛ والتذكرة ما تستذكر به الحاجة . (الرازي ، د. ت ، ص ٢٢٣)

قال تعالى : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ « سورة يوسف ، اية : ٤٥ » . المذاكرة تثبت المحفوظ الذي يتأكد ويتقرر ويزداد بحسب كثرة المذاكرة . ومذاكرة حاذق في فن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أيام ؛ وليكن في مذاكرته قاصداً الاستفادة أو الإفادة . (ابن جماعة ، د. ت ، ص ٤١)

وأفضل أوقات المذاكرة الصباح الباكر ، حيث تكون الدنيا هادئة خالية من ضوضاء الحياة ، ويكون الذهن صافياً متفتحاً وكذلك في الليل حيث تقل الضوضاء ؛ ويسكن الناس إلى مساكنهم . كما أن هناك أوقات أخرى طارئة؛ يشعر فيها الإنسان بالنشاط للتحصيل ؛ فينبغي عليه ألا يضيعها في أي مكان لأن عدم استغلالها يثير الندامة غالباً لمن يقدر قيمة أوقاته .

ومن أوقات المذاكرة الوقت الذي تكون فيه المعدة قد خفت من ثقل الطعام وكثرته ؛ فيشعر الإنسان بالخفة والنشاط في جسمه وعقله . (يالجن ، ١٤٠٢هـ ، ص ٧٤)

د ـ ***السؤال*** :

يقول الزرنوجي :

" قيل لابن عباس رضي الله عنهما : بم أدركت العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤٣)

قال تعالى : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « سورة النحل ، آية : ٤٣ » ، ولأهمية السؤال حرص صحابة رسول الله ﷺ رجالاً ونساءً على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم . وقد دلل القرآن الكريم على ذلك في عدة مواضع منها .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ « سورة البقرة ، آية : ١٨٩ » ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ « سورة البقرة ، آية ٢١٧ » ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ « سورة البقرة ، آية : ٢١٩ » ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ « سورة البقرة ، آية : ٢٢٠ » ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ « سورة الأنفال ، آية : ١ » .

فالسؤال وسيلة من وسائل المعرفة ؛ وهو من وسائل التعلم في التربية الإسلامية . وقد حث المربون المتعلمين على الاستفهام ، وألا يأخذوا ما يلقى إليهم بدون توضيح . فبالسؤال يجد المتعلم ما يرغب من إجابات عن الأمور التى يجهلها . (قمبر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٢١٤)

ومن حق المتعلم أن يسأل في موقف العلم ، والمعلم الناجح يجب أن يكون واسع الصدر يرد على استفسارات وأسئلة المتعلمين حتى يكونون على اقتناع كامل بما يلقى عليهم . (أبو العينين ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٢٢٨)

٢ ـ الفهم والتأمل والتفكير والتكرار :

الفهـــم :

يقول الزرنوجي :

" ينبغي أن يجتهد المتعلم في الفهم عن الأستاذ بالتأمل فيما قاله الأستاذ والتفكير وكثرة التكرار ؛ فإنه إذا قل السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم ، فينبغي إلا يتهاون في الفهم ". (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٣٧)

فالزرنوجي يوصي طالب العلم أن يبذل الجهد من أجل الفهم قبل الكتابة والحفظ ؛ لأن عدم الفهم يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ، ويضيع الوقت . ثم إن التأمل والتفكر يساعدان المتعلم على الفهم . وبالتالي الحفظ الصحيح . ويرى مقداد يالجن أن الفهم الجيد هو أساس العلم ؛ فبدون الفهم الجيد لا يمكن أن تكون القدرات العلمية صحيحة أو الروح العلمية مسيطرة .

(يالجن ، ١٤٠٢هـ ، ص ٩٦)

وبهذا نتبين ضرورة الاهتمام بالفهم وإدراك العلاقات وتكامل الخبرة واستمرارها والجدة والأصالة واستقلال التفكير كما أنه وسيلة من وسائل التربية الإسلامية . وإذا كانت التربية الإسلامية تهتم بالحفظ في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية لارتباطها بالرواية والنقل ، فإنها لم تهمل الفهم والتفكير ؛ وما يرتبط بهما

من إدراك للعلاقات والروابط التى تتضمنها الخبرة التعليمية أو الموقف التعليمي ولم تغفل النظرة الشمولية والتكاملية لأي مشكلة ولم تغفل أصالة واستقلال التفكير ، بل اهتمت بذلك تمام الاهتمام ؛ وطالبت المشتغلين في حقلها بما فيهم المعلمون والمرشدون أن يراعوا هذه الأمور كلها في جميع أوجه نشاطهم وأعمالهم التعليمية والتربوية . (الشيباني ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، ص ٤٥١)

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ « سورة النساء ، آية : ٨٢ » ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ « سورة الأنفال ، آية : ٢٢ » .

ـ والتأمل والتفكر جانبان هامان من جوانب عملية التعلم وفي ذلك يرى الزرنوجي أنه :

" ينبغي لطالب العلم أن يكون متأملاً في جميع الأوقات وفي دقائق العلوم وذلك فإنما تدرك الأمور بالتأمل " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤١)

ويقول أيضاً :

" ينبغي لطالب العلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم »" . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٢٥)

والتأمل : نوع من النشاط المعرفي يتميز بالسكينة والتعمق ، فيه تقلب وجهات النظر ؛ وتجمع الحقائق والأفكار والآراء وتوازن ؛ ويستنتج منها ويستدل بها . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩٥)

قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ « سورة يونس ، آية : ١٠١ » ، قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ « سورة الذاريات ، آية : ٢١ » ، فالإبصار هنا فيه معنى التأمل في خلق الله لتعرف قدرته على الخلق وحكمته فيه . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ « سورة الغاشية ، آية ١٧ ـ ٢٠ » .

وهكذا فإن توجيه الإسلام إلى النظر والتأمل لم يكن توجيهاً عارضاً ، وإنما هو منهج في التربية ، يطالب فيه المتعلم المؤمن بأن يجعل التدريب على النظر منهجه في التعلم والمعرفة . (خليل ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٥٨)

ـ التكرار : ويرى الزرنوجي أن المتعلم لابد وأن يكرر ما تعلمه ؛ لأن من فوائد التكرار تثبت المعلومات التي يتعلمها فيقول :

" وينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات ، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات ؛ والسبق الذي قبله ثلاث مرات ؛ والذي قبله اثنين ؛ والذي قبله مرة واحدة ، فهذا أدعى للحفظ . وينبغي ألا يعتاد المخافتة في التكرار ، لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكونا بقوة ونشاط ، وألا يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار ؛ فخير الأمور أوسطها " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤٨)

والتكرار يكون في إعادة ما سبق دراسته ، ويكون لتثبيت ما حفظ في العقل ، ولتسهيل المادة الدراسية ، ولزيادة ربط المعلومات ببعضها البعض ، ولاستنتاج ما يمكن استنتاجه من معلومات قد تكون جديدة . (عبدالعزيز ، ١٩٧٦م ، ص ٢٨٠) ، والتكرار يساعد على الفهم بشرط أن يكون التكرار على فترات متقاربة بدلاً من التكرار المتصل وإن تكرار مادة الحفظ مع المراجعة في فترات متفاوتة يساعد على تثبيت المعلومات ، وهذا التكرار هو أكبر مقاومة للنسيان . (همام ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م ، ص ١١) ، والتكرار في الكتاب والسنة أسلوب تعليمي تربوي فعال ، وهو متنوع مرتبط بالحياة والأحداث والناس ، وهو تكرار يملأ مساحة النفس ، ويتعامل في وقت واحد مع الإدراك والإحساس والتخيل ، وقد يكون في التكرار ما يثير التفكير والتأمل ، لذا فهو يستعين بالوسائل السمعية والبصرية . (خليل ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٦٠) ، وقد أكدت التربية الإسلامية على أهمية التكرار ، والطريقة التي سار عليها القرآن الكريم في تكرار كثير من المعاني والتوجيهات الآلهية ، والقصص المتضمنة لمعاني العظة والعبرة بصورة وأساليب متنوعة كانت أقوى وأعمق أثراً بالتكرار .

(الشيباني ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م ، ص ٤٤٨)

ومن الآيات الدالة على أهمية التكرار قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ « سورة الذاريات ، آية : ٥٥ » ، وفي القرآن أيضا أسلوب التكرار المفيد لتأكيد التعلم كما في سورة الرحمن حيث تكرر قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٣١ مرة وفي ذلك تأكيد على أن النعم ظاهرة عليكم يا معشر الثقلين الإنس والجن ، وأنتم مغمورون بها ؛ لا تستطيعون إنكارها أوجحودها . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٩١)

وكان النبي ﷺ يعيد الحديث ثلاثاً ليفهم . وعن أنس عن النبي ﷺ : « أنه كان إذا سلم سلم ثلاثاً ، ولو تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ، حتى تفهم عنه . وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً » رواه البخاري . (الجامع الصحيح ، باب إعادة الحديث ثلاثاً ليفهم ، ١٤٠٠هـ ، ص ٥١)

٣ ـ الرحلة في طلب العلم :

قال الزرنوجي :

" ولابد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع ، ولهذا أختاروا الغربة ، إذ لابد من تحمل النصب والمشقة في سفر التعلم ؛ كما قال موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه في سفر التعلم ولن ينقل عن ذلك في غيره من الأسفار . ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ « سورة الكهف ، اية : ٦٢ » ليعلم أن سفر العلم لا يخلو من النصب لأن طلب العلم أمر عظيم " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣)

وقد اتخذ المسلمون السلف من الرحلات أسلوباً لزيادة علمهم ؛ رغبة في نيل الفضل الذي نص عليه قوله ﷺ : « ومن سلك طريقاً فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » . (الترمذي ، باب فضل الفقه على العبادة ، د. ت ، ص ٤٧)

وقال أبو الدرداء : « لو اعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها على الارجل ببرك القتاد لرحلت إليه » . (ابن عبدالبر ، ١٩٣٧م ، ص ٩٥) .

وقال الشعبي : « لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع » . (المرجع السابق ، ص ٩٥)

وفي فجر الدعوة الإسلامية دعت الضرورة الصحابة إلى السفر والتفرق في الأقطار الإسلامية المفتوحة ليعلموا المسلمين أمور دينهم ، وليقرئوهم القرآن ، ويرووا لهم الأحاديث وقد أرسل الرسول ﷺ معاذ بن جبل لأهل اليمن ، وكان عبدالله بن عباس مستقراً بمكة ، أما موسى الأشعري فقد كان بالبصرة وعبدالله بن عمر بن العاص في مصر ، وعبدالله بن مسعود في الكوفة . كما أن البخاري المشهور برواية الحديث قد جمع أكبر عدد من الأحاديث الصحيحة في سفره وترحاله . فجمع من بخاري ما جمع ، ثم رحل إلى بلخ وسمع محدثيها وروى عنهم ، ثم رحل إلى مرو ونيسابور والري وبغداد والكوفة ومكة والمدينة ومصر ودمشق وعسقلان وحمص فجمع ما تفرق من الحديث من الأمصار ، وأمضى في هذه الرحلات ستة عشر عاماً . (شلبي ، ١٩٧٨م ، ص ٣٢٢)

وهناك رحالة من المسلمين لا يمكن إغفالهم ، سعوا إلى جمع المعارف والعلوم خلال رحلاتهم وكتابة ملحوظاتهم الخاصة وأبحاثهم ، فزاروا البلاد ودونوا ما رأوا ، وقد ترك هؤلاء زاداً كبيراً للباحثين في الدراسات الإسلامية ، ويعتبر نتاجهم المصدر الغني الموثوق به في عهدنا الحالي ومن هؤلاء اليعقوبي والإصطخري والمقدسي وابن جبير وياقوت الحموي وابن بطوطة .

(شلبي ، ١٩٧٨م ، ص ٣٢٤)

٤ ـ *الكتابة* :

قال الزرنوجي :

" ومن حفظ فرّ ومن كتب شيئاً قرّ " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٦١)

فالكتابة تساعد المتعلم على حفظ المعلومات واسترجاعها وتثبيتها في ذهنه ؛ وذلك عندما يعيد قراءة ما كتبه . لذلك نجد الزرنوجي يأمر طالب العلم بكتابة العلوم التي يدرسها ولكن بشرط أن لا يكتب إلا بعد الفهم ، لأن المتعلم إذا كتب شيئاً لم يفهمه فإنه لا يستفيد منه ولو رجع إليه عدة مرات . لذا فعليه أن يستصحب معه دفتراً ومحبرة ليكتب ما يسمع ، ولكن بعد أن يفهم إن الحاجة إلى الكتابة ضرورة لا غنى عنها شريطة أن تستخدم في مكانها الصحيح الذى لا تتعداه أن تكون تقييداً للعلم وضبطاً له ، وحفظاً له من الضياع . وإن الذهن البشري يستحيل عليه أن يحتفظ بقدر هائل من المعلومات ولفترة طويلة . لأنه معرض للنسيان ، لذا فالكتابة ضرورية كأداة مساعدة للتعلم ولإستذكار ما نتعلمه بطريق صحيح ، وهي ضرورية لنقل المعلومات وتبادلها ، وللإنتفاع بعلوم الآخرين التي علموها بطرقها الصحيحة . (خليل ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٤١)

قال تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ « سورة العلق ، آية : ٣ – ٥ » .

وقد جاء الإسلام وفي قريش سبعة عشرة رجلاً يكتبون ، فحث على العلم والتعلم ، وجعل النبي ﷺ شرطاً لفداء أسرى بدر بأن يعلم كل منهم عشرة من غلمان المسلمين ، مما يساعد على انتشار القراءة والكتابة في عمليات التعلم والتعليم . وكان ﷺ يدعو إلى الكتابة وتدوين العلم للحفظ ولمراجعته وتثبيته . (قمبر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ١٧٣)

وليس أدل على أهمية الكتابة من كتابة الوحي الذى حفظ لنا كتاب الله من الضياع بعد أن كان موزعاً ومحفوظاً في صدور الصحابة .

ب ـ شروط التعلم عند الزرنوجي :

التعلم ، يعرف التعلم بأنه تغير ثابت نسبياً في السلوك أو الخبرة وينجم عن النشاط الذاتي للفرد ، وليس كنتيجة للنضج الطبيعي أو للظروف العارضة . (السمالوطي ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص ١٣٩)

والتعلم يسفر عنه تغير في السلوك ، ويحدث كنتيجة للممارسة أو الخبرة ، وهو تغير ثابت نسبيـاً . (اسماعيل ، ١٩٨١م ، ص ٣٥) . وأسلوب التعلم : هو الطريقة التي يدرك بها المتعلم الاشياء من حوله ، سواء أكانت نشاطاً تربوياً أو اجتماعياً أو مهنياً عملياً . (حمدان ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، ص ١٩) . وبذلك يمكن القول أن التعلم طبيعة إنسانية لا تنفك عن الإنسان ، وتسايره طوال لحظات حياته ، فلا يزال الفرد السوي يضيف إلى معارفه من تلقاء ذاته رصيد خبرات تتغير وتتجدد ، ليتعامل بها مع الغير حتى آخر لحظات حياته .

أسلوب التوجيه للتعلم الذاتي :

إن أسلوب التوجيه للتعلم الذاتي كان في وعى علماء التعليم والتربية الإسلامية . وطبقوه عملياً في ممارساتهم المهنية . لقد كان كثير من طلبة العلم بعد اكتسابهم لأساسيات التعلم متعلمين مستقلين ، كل ينهض بأمر تعليمه . ولم يكن التعلم الذاتي بعازل المتعلمين عن معلميهم . فهم يتصلون بهم ويسترشدون برأيهم ، وقد رأوا فيهم قدوة طيبة في تحصيل العلم .

فابن حزم ظل يتلقى تربيته الأسرية حتى سن السادسة عشرة ، ثم نهض بتعليم نفسه حتى فاق الكثير من العلماء الذين سبقوه أو عاصروه ، فاتخذ من الكتب شيوخاً ، ولم يأخذ العلم من الأعلام المشهورين في عصره .

ومثله محمد بن مالك (ت ٦٧٢هـ) وقال عنه أبو حيان : « بحثت عن شيوخه فلم أجد له شيخاً مشهوراً يعتمد عليه . وغير هؤلاء كثيرون ، لم يمثلوا ظاهرة رمزية تعبر عن تفوق قلة من النوابغ الذين صنعوا مجدهم العلمي بجهدهم الذاتي ، بل جسدوا ظاهرة اجتماعية متميزة بكثرة أفرادها وخصائص وجودها . ومن أجل هؤلاء وغيرهم من طلبة العلم بصفة عامة ، ألف الزرنوجي كتابه " تعليم المتعلم طريق التعلم " . كدليل مرشد في مجالات وطرائق التعلم . إذا إن التعلم الذاتي بحاجة إلى خبير مرشد يعرف كيف يوجه طلابه تبعاً لقدراتهم وميولهم إلى ما يناسبهم من علوم وأعمال . ثم يتركهم يعتمدون على أنفسهم ويستنبطون العلم بذاتهم ومجهودهم الشخصي ويظل دوره دور الموجه والمرشد فقط . (قمبر ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤)

ومن الشروط التي يراها الزرنوجي :

١ ـ تعظيم العلم وأهله :

في تعظيم العلم وأهله يقول الزرنوجي :

" بم ينال العلم طالب العلم ؟ اعلم بأن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٦)

ويرى الزرنوجي أنه يجب على المتعلم احترام معلمه وتقديره والاعتراف بفضله ومكانته العلمية ؛ لأن ذلك مطلب أساسي للاستفادة من علمه ، والتأسي بأدبه وخلقه . وهنا نجد الإمام الزرنوجي حريصاً كل الحرص على نيل المتعلم العلم والانتفاع به . لذا نجده يرشد المتعلمين إلى ما يحقق هذا الهدف . وقد استشهد بعلي رضي الله عنه حين قال : « أنا عبد من علمني حرفاً واحداً إن شاء باع ، وإن شاء عتق وإن شاء استرق » . (المرجع السابق ، ص ١٠٧)

وهذا عبدالله بن العباس عالم هذه الأمة يقول : « فإنه ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه ، وهو قائل (وقت القيلولة) فأتوسد ردائي على بابه ، فتسفي الريح على التراب ، فيخرج فيَراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ﷺ ألا أرسلت إلى فآتيك . فأقول أنا أحق أن آتيك » .

(العسقلاني ، د. ت ، ص ١٩)

وذلك يدل على حرص الصحابة على العلم وتوقيره وهم الذين طالت صحبتهم للنبي ﷺ وكثر سماعهم منه عليه السلام . أما ابن العباس فلم تطل صحبته للرسول ﷺ ففاته كثير من أحاديثه . لذا كان يسعى في طلب العلم ، ويجل العالم ويوقره .

وذكر الزرنوجي أمثلة على تعظيم الأستاذ من سلوك علمائنا مع أساتذتهم :

أ ـ توقير المتعلم للمعلم وأولاده ، قال الزرنوجي :

" وكان أستاذنا الشيخ برهان الدين صاحب الهداية رحمة الله عليه يحكي أن واحداً من كبار أئمة بخارى كان يجلس مجلس الدرس ، وكان يقوم في خلال الدرس أحياناً . فسألوه عن ذلك فقال : إن ابن أستاذي يلعب مع الصبيان في السكة ، ويجيء أحياناً إلى باب المسجد ، فإذا رأيته أقوم له تعظيماً لأستاذي " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٨)

وفي هذا يحث الزرنوجي المتعلم على توقير أولاد المعلم لأن ذلك يعكس توقيره لمعلمه .

ب ـ مثال آخر :

" كان القاضي الإمام فخر الدين الأرسانبذي رئيس الأئمة في مرو ، وكان السلطان يحترمه غاية الاحترام ، ويقول : إنما وجدت في هذا المنصب بخدمة أستاذى ، فإني كنت أخدم أستاذي القاضي الإمام أبا يزيد الدبوسي ، وكنت أخدمه وأطبخ طعامه (ثلاثين سنة) ولا آكل منه شيئاً " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٩)

ومن تعظيم العلم والمعلم تعظيم الكتاب ، ومن التعظيم الواجب في رأي الزرنوجي أن يأخذ المتعلم الكتاب على طهارة ، وألا يمد رجله إلى الكتاب ، وأن يضع كتب التفسير فوق سائر الكتب ، وألا يضع على الكتاب شيئاً آخر من محبره ونحوها . ومن التعظيم الواجب أن يجود كتابة الكتاب ولا يقرمط ، ويترك الحاشية عند الضرورة ، وينبغي أن يكون تقطيع الكتاب مربعاً ، لأنه أيسر إلى الرفع والوضع ، وألا يكون في الكتاب شيء من الحمره ؛ لأنها ليست من صنع السلف (والقرمطة في الخط تدقيق الخط ومقاربة السطور ، والحاشية الفراغ بين الجانبين) .

وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحرمة ، ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم والدرس ، ومثل ذلك يساعد على تهيئة وسط تعلم مفعم بالتسامح والاحترام بين المتعلمين مما يساعد على بلوغ المقاصد .

٢ ـ **اختيار العلم ـ الأستاذ ـ الشريك :**

وراعى الزرنوجي دور المتعلم ومسؤوليته في رسم خطة دراسته ، من حيث أنه أعطاه حرية :

أ ـ اختيار العلم الذي يدرسه .

ب ـ الأستاذ الذي يتلقى منه العلم .

جـ ـ الزميل الذي يشاركه تعلمه .

أ ـ اختيار العلـم :

قال الزرنوجي :

" وينبغي لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه ، مما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال ثم ما يحتاج إليه في المآل ، فيقدم التوحيد والفقه ويعرف الله تعالى بالدليل " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩٨)

فالزرنوجي لا يعطي المتعلم الحرية المطلقة في اختيار العلم ، بل أعطاه حرية مقيدة ، وذلك بأن يختار المتعلم نوعاً معيناً من العلوم الدينية . وأما الحرية المطلقة ، التى أعطاه إياها فهي التعرف على الله سبحانه وتعالى . فيطالب المتعلم النظر والتدبر في آيات الله الكونية ، وإعمال العقل فيها .

وذلك لكي تزداد معرفته بالله ، وبالتالي يزداد إيمانه بعد التأمل والتفكر في آيات الله الكونية حسب ما أمرنا الله بذلك فقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ « سورة الشعراء ، آية : ٧ » .

وقال تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ « سورة الغاشية ، آية : ١٧ ـ ١٩ » ،

ويقول الله تعالــى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالـة على قدرته وعظمته ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ فإنها خلق عجيب . وتركيبها غريب فإنها في غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف . وكان شريح القاضي يقول : « اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت ؟ » أي رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم دون عمد نراها ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ أي جعلت منصوبة ثابتة رأسية لئلا تميد الأرض بأهلها فهذا تنبيه واستدلال إلى قدرة خالق ذلك وصانعه ، إنه الرب العظيم الخالــق المالك المتصرف وأنــه لا إله إلا هو الذي لا يستحق العبادة سواه .

(ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٥٣٨)

وهكذا استمد الزرنوجي آراؤه من الإسلام الذي لم يلزم أفراده بالاتجاه إلى علم معين ، فقد كانت حرية العلم واضحة في حياة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فمنهم العالم بالقرآن ، والعالم بسنة المصطفى ﷺ ، والشاعر والقاضي ، ومنهم القائد والخبير بفنون الحرب والتاجر والعالم بالفرائض حلالاً وحراماً . وورد في سيرة المصطفى القولية والتعليمية ما يدل على تشجيعه وإقراره لكل منهم على المجال الذي برع فيه والعلم الذي اختاره . ومن ذلك ما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ : « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أبي ، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح » .

(ابن حنبل ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، ص ١٨٤)

فلكل إنسان الحق في أن يختار العلم الذي يريد أن يتعلمه . وهذا خاضع لميوله ورغباته لذلك نجد أن الدين الحنيف لا يمانع في أن يتعلم المسلم ما شاء من أنواع العلوم ، ولكنه وضع ضوابط لذلك وعلى المسلم ألا يغفل عن هذه الضوابط أو القواعد الأساسية في حرية العلم وأن يختار

العلم الـذى يلائم ميولـه . وقد صنف الزرنوجـي العلوم إلى ضارة ونافعة . والمسلم مطالب بالاستزادة من العلوم النافعة . قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ « سـورة طه ، آية : ١١٤ » . والعلوم النافـعـة منهـا علم الحـديث والتفسير والتوحيد والفقه ، ولكن الزرنوجي يطالب المتعلم تقديـم التوحيد والفقه في بداية طلبه لأي نوع من العلوم والمعارف ، ثم يتزود بالعلوم المباحة كالتجارة والزراعة والصناعة والطب . ولكن الزرنوجي يحذر من بعض العلوم التي ليس منها فائدة مثل تعلم « الفلسفة » لإنها في رأية تبعد عن التفقه في الدين ، وتضيع العمر ، وكذلك تجلب للمتعلم العداء مع الغير . وفي ذلك يقول الزرنوجي :

" واياك أن تشتغل بالجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء ، فإنه يُبعد عن الفقه ، ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩٩)

ومن العلوم الضارة السحـر والتنجيم والكهانة ، واختـرا ع القنابل والغازات السامة ، التي تدمر وتحرق وتركيب المواد الكيميائية التي تشمل على مخدرات لضررها فـي اتلاف الدمـا غ وقتل النفس . إنما يجب أن تكون العلوم مـوافقة لكتاب الله وسنة رسوله وعدم معـارضتـها للشرع والعمل بها بما يعود بالنفع والإكتفاء الذاتي للأمة الإسلامية وأن تخلص النية لله في هذه العلوم ويعمل على نشـرها . والزرنوجي كـان يرى أن يكون التـركـيـز أولاً على تعلم العلوم الدينية ، وأن المتعلم إن تعلم غير العلوم الدينية مثل الجدل والفلك فإنه سوف يعيش في وحشة وعداء مع معاصريه هذا ما يؤكده الدكتور ماجد الكيلاني في كتـابه « تطور مفـهـوم النظريـة التربوية الإسـلامية » عن العـصر الذي عـاش فـيـه الزرنوجـي في أن من يتـعلم فـقط غيـر العلوم الدينيـة في ذلك العـصـر ، فإن العلماء يجفونه ويتـحـاملون عليه ، ويفـسقونه ويمنعونه من التدريس . (الكيلاني ، ١٩٨٧م ، ص ١٨٦)

ويرى محمد عطية الأبراشي أن نترك للمتعلم حرية الاختيار حسب استعداده الفطري كي نجد الطبيب الماهر ، والمحامي القدير ، والكاتب البليغ ، والزارع والتاجر والصانع ، أما التضييق على المتعلم فكثيراً ما يقضي على مواهبه ونبوغه . (الأبراشي ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م ، ص ٦٤)

وترى الباحثة أن حرية التعلم لا يمانعها الإسلام ،. فللمتعلم أن يتعلم أي علم يرغب فيه بشرط أن يكون موافقاً للشريعة الإسلامية ، ويحقق فيه العبودية الخالصة لله ، ويعود بالنفع والفائدة على الأمة الإسلامية . وأن يعمل على نشر العلم لمن يجهله أو يحتاجه .

ب ـ اختيار الأستاذ :

يرى الإمام الزرنوجي أنه ينبغي لطالب العلم أن يستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب منه حسن الأخلاق والآداب . وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته ، وتحققت شفقته ؛ وظهرت مروءته ، وعرفت عفته واشتهرت صناعته ، وكان أحسن تعليماً وأجود تفهيماً ، ولا يرغب المتعلم في زيادة العلم ممن نقص الورع أو عدم الخلق الجميل لديه ، قال بعض السلف وهذا العلم دين ؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم وليجتهد على أن يكون المعلم ممن له بالعلوم الشرعية تمام الاطلاع . (ابن جماعه ، د. ت ، ص ٨٦)

والزرنوجي يضع لطالب العلم صفات للمعلم الجيد ، والتي يجب أن يلاحظها عند اختياره له : وهي كما قال " الأعلم والأورع والأسن " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٠)

وهذه الصفات يجب أن تتوفر في الأستاذ من حيث :

١ ـ العلم : يجب أن يكون المعلم ذا علم كثير خاصة في المجال الذي يقوم بالتعليم فيه .

٢ ـ الورع : يجب أن يكون مترفعاً عن سفاسف الأمور ، وأن لا يحمل في نفسه الأحقاد على الغير ، وأن يكون خالياً من الحسد وهذه الصفات لا تجتمع إلا مع الورع .

٣ ـ السن : وذلك ضروري لتوفر الخبرة لدى المعلم ، لأنه كلما كان المعلم ذا خبرة علمية طويلة ، فإنه يكون أكثر إفادة للمتعلم . ويضرب لنا الزرنوجي هذا المثال :

" كما اختار أبو حنيفة رحمه الله حماد بن سليمان رحمه الله بعد التأمل والتفكير قال : وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٠)

المشاورة في اختيار المعلم :

يقو الزرنوجي :

" فتأمل شهرين في اختيار الأستاذ وشاور " . (المرجع السابق ، ص ١٠٠)

أي أن على المتعلم أن يشاور أهل الخبرة في اختيار الأستاذ . قال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ « سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ » .

فالمشورة تجعل المتعلم يختار أستاذه بعد السؤال عنه ومعرفة أخلاقه وأحواله ، مما يؤدي إلى أن يثبت عليه ، ولا يحتاج إلى تركه والذهاب إلى غيره ، فتكون بذلك منفعته أكثر وتعليمه مباركاً . وليس هناك تعارض بين الاختيار والمشاورة ، لأن المشاورة من الحرية ؛ ومن الاستزادة بوجهات النظر المتباينة ، وبالمعلومات المتنوعة التي تساعد في اختيار المعلم .

الثبات بعد الاختيار :

يقول الزرنوجي :

" ينبغي لطالب العلم أن يثبت ويصبر على أستاذ ، وعلى كتاب حتى لا يتركه أبتراً وعلى فن حتى لا يشتغل بفن آخر ، قبل أن يتقن الأول ، وعلى البلد حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة ، فإن ذلك كله يفرق الأمور ؛ ويشغل القلب ؛ ويضيع الأوقات ، ويؤذي المعلم " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٢)

فالزرنوجي ينصح المتعلم بأن يثبت بعد اختياره سواء ، فيما يتصل بالأستاذ أو الفن أو الكتاب أو البلد .

جـ ـ اختيار الشريك :

ينصح الزرنوجي المتعلم باختيار القرين الصالح وفي ذلك يقول :

" وأما اختيار الشريك . فينبغي أن يختار المجد الورع ، وصاحب الطبع المستقيم ، ويرفض الكسلان والمعطل والمكثار والمفسد والفتان " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٣)

وقد بين الزرنوجي أن هناك نوعين من الأقران في مجالس التعليم :

النوع الأول : أقران صالحون للمشاركة في العلم ، ومن صفاتهم الجد والاجتهاد والورع وسلامة الطبع .

النوع الثاني : أقران غير صالحين للمشاركة في العلم ، ومن صفاتهم : الكسل ، كثرة الكلام ، فساد الطبع ، الفتنة . وفي ذلك يقول ﷺ : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك . ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » .

(مسلم ، باب استحباب مجالس الصالحين ومجانبة قرناء السوء ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٢٠٧)

فطالب العلم عليه ألا يخالط إلا من يفيده ويستفيد منه . وليكن صالحاً تقياً ديناً ورعاً ذكياً كثير الخير قليل الشر حسن المداراة إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن احتاج واساه ، وإن ضجر صبره .

(ابن جماعه ، د. ت ، ص ٨٣)

إن نظرة الزرنوجي إلى الاختيار سواء اختيار العلم أو المعلم أو الشريك في العلم نظرة شاملة لذات المتعلم ، مستقلة بحريته ومسؤوليته . وهذا يتفق مع الإسلام الذي كرم الإنسان بعقله وقلبه وعبوديته لله ، وجعله مسؤولاً عن ذاته ودوره وبالتالي مجتمعه .

٣ ـ الجد والمواظبة والهمة العالية :

قال الزرنوجي :

" الرأس في تحصيل الأشياء الجد والهمة العالية ، فمن كانت همته حفظ جميع كتب محمد بن الحسن رحمه الله تعالى ؛ واقترن بذلك الجد والمواظبة ، فالظاهر أنه يحفظ أكثرها أو نصفها ، فأما إذا كان له همه عالية ، ولم يكن له جداً . أو كان له جد ولم تكن له همة عالية فلا يحصل له علم إلا القليل " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٢٢)

" ولابد لطالب العلم من الهمة العالية ؛ فإن المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحيه "

(المرجع السابق ، ص ١٢١)

" ولابد لطالب العلم من المواظبة على الدرس " . (المرجع السابق ، ص ١٢٠)

" وينبغي للمتعلم أن يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة " .

(المرجع السابق ، ص ١٢٥)

إذن فالجد والمواظبة أمر مطلوب في كل عمل هادف ، إذا أريد له النجاح . والمواظبة على العمل تؤدي إلى تحريك الهمة . أي إن العلاقة بين الهمة والعمل أو الانفعال والسلوك علاقة تبادلية ؛ بحيث تؤدي الهمة إلى الجد ، والمواظبة إلى الهمة . والهمة حركة داخلية تؤدي إلى حركة خارجية ، أو سلوك يتميز بالإقبال والحماسة ، أي إنها حالة استعداد لآداء عمل معين .

(الزرنوجي ، تحقيق عثمان ، ١٣٩٧هـ ، ص ٤٥)

ومن التعريف السابق يمكن أن نعطي الهمة من المصطلحات التربوية التعليمية المعاصرة اسم الدافع : والذي عرفه بعض العلماء بأنه : « الطاقة الكامنة في الكائن الحي التي تدفعه ليسلك سلوكاً معيناً في العالم الخارجي » . (صالح ، د. ت ، ص ٦٨١)

وعلاقة الدافع بالتعلم : هو أن التعلم ينشأ أثناء وجود حركة نشاط داخل المتعلم ؛ فيدفعه إلى القيام بفعل معين (التعلم) . ومن هنا يتبين لنا أن الدافع أساس التعلم . فبدون هذاالدافع لا يكون التعلم .

(يالجن ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، ص ٧٩)

وقضية الدافع اهتم بها القرآن اهتماماً كبيراً ؛ فقد ربط كثيراً من آيات الإيمان بدافع الحصول على الثواب وتحقيق مرضاة الله والعيش الطيب في الحياة الدنيا والفوز في الآخرة .

كما أن الدافع يساعد على الحفظ والتذكر ؛ وحيث أثبت العلم أنه كلما كان المكتسب من العلم بدافع قوى (همة عالية) كان الاحتفاظ به في الذاكرة أقوى ، واسترجاعه أيسر وأمكن . (عبدالعال ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٥٦ - ١٥٧)

وقد أكد الزرنوجي على تواجد الهمة (الدافع) والجد والمواظبة في آن واحد لدى طالب العلم ، حيث نجد أنه في حالة وجودهم معاً جميعاً فإن النتيجة سوف تكون ايجابية بلا شك ، أما في حالة وجود أحدهما وغياب الأخر فإن عملية حصول العلم تكون ضعيفة .

ويعد الدافع من أهم العوامل التي تسهم في التربية بوجه عام والتعلم بوجه خاص . فالتعليم الناجح هو التعلم القائم على دوافع المتعلمين وحاجاتهم ، وكلما كان موضوع الدرس مشبعاً لهذه الدوافع والحاجات كلما كانت عملية التعلم أقوى وأكثر حيوية . لذلك ينبغي أن يوجه نشاط المتعلمين بحيث يشبع الحاجات الناشئة لديهم ويتفق مع ميولهم ورغباتهم .

(زيدان ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٦١)

٤ ـ ***الصبر*** :

قال الزرنوجي :

" قيل الشجاعة صبر ساعة ، فينبغي لطالب العلم أن يثبت ويصبر على أستاذ ، وعلى كتاب حتى لا يتركه أبترا وينبغي أن يصبر عما تريده نفسه وهواه " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٢)

" ويصبر على المحن والبليات ، فقد قيل : خزائن المنن على قناطر المحن " . (المرجع السابق ، ص ١٠٣)

وللصبر أنواع : الصبر على رغبات النفس ، والصبر على مصائب الحياة ، والصبر على معاملة الأستاذ والمربي ، والصبر على المادة العلمية . فالمتعلم لابد له من الصبر حتى يمكنه ملازمة المعلم . وحتى يمكنه الإستمرار في التعليم من خلال الكتب والقراءة والاطلاع .

قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً . قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً . قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً . قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ « سورة الكهف ، آية : ٦٥ ـ ٦٨ » .

هذا الحوار كان بين الخضر وموسى عليهما السلام حينما طلب منه موسى أن يعلمه العلم وإن دل على شيء فإنما يدل على صبر المتعلم وطاعته في طلب العلم وذلك في قوله تعالى :﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ فالآيات تحث على الاستزادة من العلم والتحلي بهاتين الصفتين . (ابن كثير ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م ، ص ٩٨)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ « سورة البقرة ، آية : ١٥٣ » .

فعلى طالب العلم أن يصبر على معلمه مهما كانت شدته ، فهذه الشدة قد تكون لصالح المتعلم حتى يركز انتباهه للدرس . وإن النتائج التي يتوصل لها المتعلم تجعله يفخر بما حققه ؛ ويصر على أن يركب الصعاب حتى يصل إلى مبتغاه وهو العلم .

٥ ـ ***وقت التحصيل*** :

وذكر الزرنوجي :

" وقت التحصيل من المهد إلى اللحد (دخل الحسن بن زياد في التفقه وهو ابن الثمانين سنة ، ولم يبت على فراش أربعين سنة ، فأفتى بعد ذلك أربعين سنة) وأفضل الأوقات شرخ الشباب ووقت السحر وما بين العشاءين وينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٥٤)

والوقت المناسب للتعلم يكون في الصغر لأن العلم في الصغر كالنقش على الحجر ، والمعلومات ترسخ في ذهن الطفل أكثر منها لدى الكبير في السن ، والصغير يستطيع أن يتعلم باستمرار ويتجرع العلم ويغترفه طول حياته لتعوده على التعلم والتلقي ، ويكون قد رسم لنفسه هدفاً يسعى إليه . (القرطبي ، ١٩٦٦م ، ص ١٠٤)

ويرى ابن جماعة أن يقسم المتعلم أوقات ليله ونهاره ، ويغتنم ما بقى من عمره في التعلم ، فإن قضاء العمر في غير ذلك لا قيمة له . وأجود الأوقات للحفظ الأسحار ، وللبحث الإبكار ، وللكتابة وسط النهار ، وللمطالعة والمذاكرة الليل ، وهذا ما أكد عليه ابن جماعة حيث قال : « أجود أوقات الحفظ الأسحار ثم وسط النهار ثم الغداة قال : وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار ، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع ، وأجود أماكن الحفظ الغُرف ، وكل موضع بعيد عن الملهيات ، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطرق وضجيج الأصوات ؛ لأنها تمنع من خلو القلب غالباً . (ابن جماعة ، د. ت ، ص ٧٢ - ٧٣)

فالزرنوجي يرى أن حياة الإنسان كلها للتعلم والعلم . فالعمر كله هو ما يسميه الزرنوجي بوقت التعلم الذي يمتد من المهد إلى اللحد . واستشهد بالذي بدأ يتفقه وهو في الثمانين من العمر ، وبآخر مات وهو يتفكر في إحدى المسائل الفقهية . فوقت التحصيل عنده كل العمر دون توقف في أي زمان أو مكان . وإنه ليس مقصوراً على فئة معينة ولا على مرحلة معينة . لأنه لا يرى عمراً محدداً لبدء التعلم . المهم هو أن يتعلم ولكنه يرى أن أفضل مراحل العمر للتحصيل هي شرخ الشباب ، ويرى أن على المتعلم أن يختار الأوقات المناسبة للمذاكرة والتحصيل ، وينصح بوجوب الانتقال من علم إلى آخر في حال السأم والملل ، فطالب العلم عنده متفرغ للعلم في جميع أوقاته .

ويشير الرسول ﷺ إلى أهمية الوقت . فيقول : « إن الصحة والفراغ نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس » .

(الدارمي ، كتاب الرقاق ، د. ت ، ص ٢٩٧)

٦ ـ اقتران العلم بالعمل :

وفي ذلك يستشهد الزرنوجي بمقولة ابوحنيفة رحمه الله يقول :

" قال أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه : (ما العلم إلا العمل به) " .

(الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩١)

فالتعلم عن طريق العمل يعتبر شرطاً ، حيث إن تطبيقه يهدف إلى تكامل بين النظرية والعمل ؛ وبين العلم والتطبيق ؛ بحيث يدرك المتعلم ويتيقن أنه ليس هناك علم بلا عمل .

ولقد أكدت التربية الإسلامية على الناحية العلمية تأكيداً عظيماً من حيث أهمية آثارها في الحياة الدنيا ، وما تعود به من نفع وخير وسعادة على الفرد والمجتمع ، وإن أول أركان الإسلام شهادة أن لا آله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهي لفظية ، فإن أريد ترجمتها إلى العمل فإنها تتمثل في بقية الأركان من صلاة وزكاة وصوم وحج .(أبو العينين ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٢١٨) قال تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ « سورة النجم ، آية : ٣٩ – ٤١ » . وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ « سورة التوبة ، آية : ١٠٥ » .

فالتربية الإسلامية تؤكد على الناحية العملية حرصاً على نجاح التعلم وتنميته نحو الأفضل عن طريق العلم والمعرفة التي يكتسبها المتعلم ، وعن طريق الممارسة العملية للأخلاق الإسلامية ، وارتباط ذلك بهدف التربية الإسلامية وهو الخشية من الله ؛ والخشية هي عملية تظهر آثارها على السلوك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ « سورة فاطر ، آية : ٢٨ » . (فرحان ، ١٤٠٢هـ ، ص ٥٦)

وقال ابن مسعود : « كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العمل والعلم فانا علمنا العمل والعلم » . (ابي شيبه ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ص ٤٦٠)

ومن أساليب الرسول ﷺ في التربية إنه كان يحث أصحابه على وجوب اقتران قولهم بفعلهم ، ولاريب أن الرسول عليه السلام وهو المعلم الأكبر كان؛ يبين لنا منهجاً تربوياً وهو أن يتمثل المربى دائماً القول بالعمل . وإن العمل الصالح ليس مقصوراً على العبادات ؛ بل هو أعم وأشمل من ذلك بكثير. إذ يتناول كل عمل فيه عزة للإسلام وقوة ، وفائدة للمسلم ؛ لأن الإسلام فيه خير الدين والدنيا معاً. (حلواني ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص ٨٩ – ٩١ – ١٨٩)

وإذا ما تأملنا ما ذهب إليه الزرنوجي عن طرق وأساليب وشروط التعلم نلاحظ أنها في الإسلام تفى بكل احتياجات الفطرة الإسلامية للمتعلم . كما أنها تطابق ما في هذه الفطرة من استعدادات متنوعة للتعلم ، وتراعي التربية الإسلامية في ذلك وهذه النفس الإنسانية عقلاً وإرادة وعاطفة وحركة وحساً . ويراعي التداخل والتكامل في كل هذه المجالات ، لإنها طرق شاملة تهدف إلى بناء الإنسان المتكامل الراشد الصحيح ، وتوصله إلى هدفه المنشود . (خليل ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٥٦)

ثالثاً : الأسباب المعينة على الحفظ والأسباب المؤدية للنسيان :

يقول الزرنوجي :

" وأقوى أسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل وقراءة القرآن من أسباب الحفظ " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٦٩)

" والسواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل احدى وعشرين زبيبه حمراء كل يوم على الريق يورث الحفظ . وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات ويزيد في الحفظ " . (المرجع السابق ، ص ١٧٠)

وإستناداً إلى ما سبق ذكره من قول الزرنوجي نلاحظ أنه يذكر أسباباً تساعد على الحفظ وهي نوعان :

أ ـ أسباب نفسية .

ب ـ أسباب جسمية .

أ ـ ***الأسباب النفسية*** :

مثل الجد والمواظبة وقراءة القرآن . كما أن صلاة الليل تؤدي إلى السكينة وتثبت العقيدة ، إذ تقوى ارتباط المرء بخالقه ، وتزيد اعتماده عليه وثقته بالنجاح فتكون أكبر همومه هموم الآخره ، فيزيد احساس المسلم بالعزه والثقة بالله والشعور بالاطمئنان والأمن . فتظهر الروح وتخلص البدن من الشهوات التي تكبله فيؤدى إلى تركيز المتعلم على العلم .

ب ـ ***الأسباب الجسمية*** :

ترتبط بالعوامل الصحية المساعدة على الحفظ في رأيه ومنها تقليل الغذاء ، لأن كثرة الغذاء تعيق التفكير السليم وتمنع من العبادة وتثقل الرأس وتؤذي المعدة وتميت القلب . (حسن ، ١٩٨٥م ، ص ٣٠٨) ، ويحث الزرنوجي المتعلم على أنواع معينة من الأغذية مثل شرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل احدى وعشرين زبيبه حمراء كل يوم على الريق ، وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات لأن ذلك في رأيه يزيد في الحفظ قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا ﴾ « سورة الاعراف ، آية : ٣١ » ، وقال جريح : قال الزهرى عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ ، وأجوده أصفاه وأبيضه ، وألينه حده ، وأصدقه حلاوة ، وما يؤخذ من الجبال والشجر له فضل على ما يؤخذ من الخلايا . (الجوزية ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٤٠)

أما بالنسبة للزبيب : فهو يغذى غذاء صالحاً وفيه نفع للحفظ قال الزهرى: من أحب أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب وأجوده ما كبر جسمه ، وسمن لحمه ورق قشره ونزع عجمه . (الجوزية ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣١٨) ، والسواك حث عليه ﷺ حيث قال : « لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » . (ابن ماجه ، باب السواك ، د. ت ، ص ١٠٥) ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا ﴾ « سورة الاعراف ، آية : ٣١ » ، فأرشد الله عباده إلى ادخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب ، وأن يكون بمقدار ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية ، فمتى جاوز ذلك كان اسرافاً . (الجوزية ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢١٣)

وقد وجدت الباحثة في كتب الطب أن الفستق غني بالفوسفور .. وهو مفيد في تنبيه المخ والجهاز العصبي مما يساعد على التعلم . (القباني ، ١٩٦٦م ، ص ٢٧٧) ، كما أن المصابون باضطراب في الذاكرة ، أو ضعفها عليهم بالسمك لأن الفوسفور الموجود في السمك خير مساعد لهم على التخلص من هذه الحالة كما أن السمك يعتبر مقوياً حقيقياً للمخ . (القباني ، ١٩٦٦م ، ص ٤٨٠)

الأسباب المؤدية إلى النسيان :

أما فيما يورث النسيان فيقول الزرنوجي :

" فالمعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا وكثرة الاشغال والعلائق ، وكل ما يزيد في البلغم يورث النسيان . أما أسباب نسيان العلم فأكل الكزبره الرطبه . وأكل التفاح الحامض والنظر إلى المصلوب ، وقراءة لوح القبور والمرور بين قطار الجمال وإلقاء القمل الحي على الأرض ، والحجامة على نقرة القفا ، كلها تورث النسيان " . (الزرنوجي ، تحقيق أحمد ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٧١ - ١٧٣)

النسيان : هو فقدان طبيعي أو كلي مؤقت أو دائم لما إكتسبناه من ذكريات وخبرات ومهارات ، فهو عجز الفرد عن الاسترجاع أو التذكر . (راجح ، ١٩٧٣م ، ص ٢٩٧) . والنسيان سمة من سمات الإنسان دون غيره من سائر المخلوقات . (محمد ، ١٤١٥هـ ، ص ٣٢٠) . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ « سورة طه ، آية : ١١٥ » .

كما قسم الزرنوجي أسباب الحفظ إلى عاملين فكذلك قسم أسباب النسيان إلى عاملين :

أسباب نفسية :

وهي المعاصي وكثرة الذنوب ، فهي تؤدى إلى ظلمة القلب وكذلك الهموم والأحزان تضعف القابلية للحفظ والاهتمام به والتركيز فيه . كما أن كثرة الانشغال والعلائق الدنيوية تزيد من تشتيت المتعلم بين علمه واشغاله ، مما يزيد من عدم التركيز وبالتالي نسيان العلم . ولقد دلت أبحاث التحليل والعلاج النفسي على أن النسيان يرجع إلى رغبة الشخص اللاشعورية في الكبت وعدم رغبته في تذكر بعض الحوادث بسبب ما تثيره في نفسه من الآلام فيفضل التخلص منها بالنسيان . (عطيه الله ، ١٩٨٠م ، ص ٣٢٥) . وقد اثبتت التجارب أن تذكر الأشياء المكتسبة في ظروف مؤلمة يكون أقل من تذكر الأشياء المكتسبة في ظروف محايدة أو مفرحة . (أحمد ومحمود ،، د. ت ، ص ٣٧٣) . وإن الحالة النفسية المضطربة أثناء المذاكرة هي أكبر دافع للنسيان والأفضل أن تكون الحالة النفسية مستقرة أثناء عملية التعلم . (همام ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م ، ص ٢٨) . أما النظر إلى المصلوب أو مشاهدة القبور فإنه مما قد يترك آثار نفسية سيئة تزيد من هموم المتعلم ، بالتالي يضعف التركيز لديه .

أسباب جسمية :

ترتبط بالعوامل الصحية مثل أكل الكزبره الرطبه وأكل التفاح الحامض والحجامه ، فهى تساعد على النسيان والكزبره الرطبة وجدتها الباحثة في

كتاب « الحث على حفظ العلم » بإسم الكريزه الرطبة وهي نوع من أنواع الفاكهة كالعنب . (ابن الجوزى ، ١٤٠٣هـ ، ص ٣١) . والباحثة لا تعرف على أي أساس بنى الزرنوجي وجهة نظره وخاصة بالتفاح والكزبره ، لأن التفاح ذكر في الطب القديم والحديث لفائدته . وأما بالنسبة للحجامه فإن الرسول ﷺ إحتجم وفي عدة أماكن بحسب ما دعت إليه حاجته . واختلف الأطباء في الحجامه على نقرة القفا فطائفه منهم استحسنته . وروى أن أحمد بن حنبل احتاج إلى الحجامة فاحتجم في جانبي قفاه ، ولم يحتجم في النقره ، وكرهها صاحب القانون وقال إنها تورث النسيان حقاً . (الجوزيه ، ١٤٠٩هـ ، ص ٥٧)

والباحثة تلاحظ إنه بالرغم ان الزرنوجي عاش في القرن السادس الهجري ، إلا أنه أولى الأغذية عناية من حيث علاقتها بالتعلم . والحاجة إلي الغذاء المناسب ضرورية فهي تزود الجسم بالطاقة التي يحتاج إليها الإنسان للقيام بنشاطه كما يقوم الغذاء بدور هام في تكوين الخلايا الجديدة ، وتعويض الخلايا التالفة ، وزيادة مناعة الجسم ، ووقايته من الأمراض .

(عبدالعال ، ١٤٠٥هـ ، ص ٩٥)

وقد حرص الإسلام على تناول كل طيب من الطعام قال تعالى : ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ « سورة المائدة ، آية : ٨٨ » . وتحريم كل غذاء ضار بصحة المسلم قال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ « سورة المائدة ، آية : ٣ » .

كما ان الاستمتاع بالصحة يجعل الإنسان يشعر بالرضا والثقة ، وهذا أمر يحرص عليه الإسلام ليتمكن من آداء مهمة الاستخلاف التي كلف بها .

وإذا ما تأملنا ما ذهب إليه الزرنوجي هنا وجدنا إنه كان من أوائل الذين تنبهوا إلى أهمية العلم في حياة الإنسان والمجتمع وانه اهتم إهتماماً كبيراً بالجوانب الأخلاقية والبيولوجية التي تؤدي إلى تحصيل العلم وتحقيق شروطه وهو أيضاً من أوائل الذين اهتموا بالجوانب النفسية في التربية الإسلامية .

ثانياً : موقع التربية الحديثة من الفكر التربوي للزرنوجي :

فيما يلي ستتناول الباحثة موقع فكر التربية الحديثة من فكر برهان الدين الزرنوجي كما سبق طرحه من خلال مقارنته ببعض علماء التربية المحدثين وهم :

بستالوتزى (١٧٤٦م ـ ١٨٢٧م) :

چوهان بستالوتزى ولد في زيوريخ من أسرة إيطالية نزحت إلى سويسرا ، ثم أصبح قسيساً ، ولكن سرعان ما انصرف للتربية ، وقضى حياته مربياً ، يهتم بالأطفال حيث وجد في ذلك ضالته ، أسس مدرسة لأبناء الفقراء سنة ١٧٧٥م ، فاستمرت زهاء ١٨ سنة ، ثم اضطر لإقفالها لأسباب مادية . بعد ذلك حاول إصلاح التربية بالكتابة والتأليف ، وفي سنة ١٧٩٨م تولى إدارة ميتم « إستانز » . وفي سنة ١٨٠٥م أشرف على إدارة مؤسسة (إفردون) ، حيث اجتهد في تطبيق طرقه التربوية ، وفي سنة ١٨٢٥م انهارت المؤسسة بسبب ضعف إدارتها وحسد معاونيه ، وإثر ذلك انسحب بستالوتزى من ميدان التربية . (الخوري ، ١٩٦٤م ، ص ١٢١)

الهدف من التربية في نظر بستالوتزى هو بناء الأخلاق ، ويتحقق ذلك بوسائل خارجية عن طريق الإعداد المباشر لإكتساب الفضائل الخُلقية . (عبدالعزيز ، ١٩٧٨م ، ص ٢٦٦)

وأهم آراء بستالوتزي التربوية هي :

١ ـ يجب أن يستعان بالأشياء المحسوسة في التعلم ، وأن يقترن العمل العقلي بالعمل اليدوي ، وأن يعرف الطفل كيف يتكلم قبل أن يتعلم القراءة ، وأن يراعي النمو الطبيعي في دراسة اللغة ، فتدرس الأسماء أولاً ، ثم الصفات ، وأخيراً الجمل .

٢ ـ إن وقت التعلم يختلف عن وقت الحكم والنقد ، فلا مناقشة ولا نقد من التلاميذ أثناء الدرس .

٤ ـ أن يبدأ بأسهل الأصول في أي فرع من فروع التعلم ثم ينتقل إلى الأصعب فالأصعب فالأصعب ، على أن يكون الإنتقال تدريجياً ومتمشياً مع نمو الطفل .

٥ ـ يجب أن يعطى الوقت الكافي لشرح كل نقطة من نقاط الدرس ، حتى يفهمها الطفل فهماً جيداً .

٦ ـ يجب أن يحترم المدرس شخصية الطفل .

٧ ـ ان هدف التعليم هو تنمية الطفل لا مجرد إلقاء الدرس .

٨ ـ إن الهدف الأساسي من التعلم الأولي ليس حشو عقل المتعلم بالمعلومات ، وإنما تنمية قواه العقلية بما يتناسب ونموه في هذه المرحلة .

٩ ـ يجب أن يرتبط التعلم بالمهارة .

١٠ـ يجب أن تكون المحبة هي أساس العلاقة بين المعلم والمتعلم ، وعليها يرتكز محور النظام المدرسي .

وقد اعترف بستالوتزى مراراً بأنه مدين لجان چاك روسو (تربوى فرنسى) في أفكاره التربوية ، ولكنه في الحقيقة كان يطبق مبادىء روسو الفردية في شخصية « اميل » على عدد كبير من الأطفال ، فأصبحت أفكاره من أجل المجموعة لا من أجل فرد واحد ، وكان يرى أن الإنسان يبعث عن طريق التربية ، وأن البيت هو أساس تربيته الإنسانية .

(شفشق وآخر ، د. ت ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠)

أهم أفكاره المتصلة بطرق التدريس :

تحتل أفكاره المتصلة بطرق التدريس الجزء الأكبر من كتبه ومقالاته التربوية ، وتتركز فيها غالب التجديدات ، التي أتى بها في المجال التربوي . وأهم المبادىء التربوية التي تقوم عليها طريقته :

١ ـ الإيمان بوجوب البدء بالمدركات الحسية ، ثم الإنتقال من المحسوس إلى المعقول ، ومن البسيط إلى المركب ، ومن العام إلى الخاص ، ومن المجمل إلى المفصل ، ومن المعلوم إلى المجهول .

٢ ـ الإيمان بأن الزيادة في القدرة أهم من المعرفة ، وبالتالي فإن مهمة المدرس في نظره ليست تزويد التلميذ بالمعارف ، ولكن مساعدته على تنمية قواه وملكاته العقلية ، وقدرته على إكتساب المعرفة بنفسه ، وأن يربط المعرفة بالتطبيق العملي لها .

٣ ـ نادى بأن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ علاقة أبوة قائمة على العطف والحب والتعاون ، وفي نفس الوقت نادى بوجوب إتباع سياسة الحزم من قبل المعلم ، وبوجوب تأكيد سلطته . (الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٢٨١ – ٢٩١)

ماريا منتسورى (١٨٧٠م ـ ١٩٥٢م) :

هي طبيبة إيطالية أتاحت لها دراستها الطبية والنفسية أن تكتسب خبرة علمية وعملية ، ساعدتها على وضع طريقتها التربوية التي عرفت بإسمها . بدأت عملها في حقل التربية بإعطاء دروس في علم النفس التجريبي في جامعة روما . ثم قامت بتطبيق نظرياتها على الأطفال المتخلفين ، مستعينة بمؤلفات الدكتورين الفرنسيين « ايثار » و« سيغان » ؛ اللذين عالجا واهتما بتربية الشاذين . ونجحت في هذه التجربة إلى حد العزم على تطبيقها على الأطفال العاديين ، فأسست سنة ١٩٠٤م « دار الأطفال » في أحد الأحياء المكتظة بالسكان في روما . وسمحت لها هذه التجربة بإستنتاج الأسس العلمية لطريقتها التربوية . وقامت سنة ١٩١٣م بزيارات إلى الولايات المتحدة وألمانيا وإنجلترا واسبانيا والسويد والهند والصين ، حيث ألقت مجموعة من المحاضرات لنشر طريقتها ومبادئها . (الخورى ، ١٩٦٤م ، ص ١٨١)

الغرض من طريقتها :

ترى منتسورى أن الغرض من التربية هو تربية شخصية المتعلم وتشجيعه على أن يتعلم بنفسه ، ويعتمد عليها واهتمت بإستقلال المتعلمين بأعمالهم ،

فهم يعتمدون على أنفسهم ولا تتدخل المرشدة إلا عند الضرورة ، لتقوم بإرشادهم . (الإبراشي ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م ، ص ٢٩٢)

آراؤها التربوية :

كان الأساس الذى بنت عليه منتسورى نظامها التربوى هو الدراسة العلمية للطفل ، وليس الطفل بوجه عام ، وإنما لكل طفل على وجه خاص ، ورأت أن الحرية هي الشرط الأساسي لنمو الطفل وتقدمه ، ورغم ذلك فلم يكن الطفل المتحرر في مدارسها فوضوى ، بل منضبطاً ، لإنشغاله بتمارين تتناسب وحاجاته وتتجاوب مع رغباته . (عبدالدائم ، ١٩٨٧م ، ص ٥٤٢)

ومن أهم مبادئها :

١ ـ استقلال التلاميذ بأعمالهم واعتمادهم على أنفسهم ، وألا تتدخل المرشدة في أعمالهم إلا عند الضرورة . بل تنتهز الفرصة التي يحتاج فيها الطفل إلى التعلم والإرشاد فتقوم بتعليمه وإرشاده .

٢ ـ ليس هناك دروس محددة ، لا جداول معينة ، بل كل طفل يدرس حسب رغبته وإمكانياته .

٣ ـ ليس هناك فصول مدرسية تقليدية ، بل عبارة عن بيوت أو دور للأطفال تلائم اهتماماتهم وحاجاتهم .

٤ ـ الباعث الوحيد لعمل الطفل لديها هو سروره بالنجاح الذى يحققه ، والقيام بما يرغبه فلا ثواب ولا عقاب في مدارسها .

٥ ـ إستخدام الألعاب التربوية في تنمية وتوجيه حواس الأطفال ، وتهيئتها للإدراك الذهنى ، وهذا الإستخدام مبنى على أسس علمية وليدة الملاحظة والتجربة ومعدة بطريقة دقيقة ، تهدف إلى تربية كل حاسة بمفردها لدى الأطفال . (الأبراشي ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م ، ص ٢٩٣)

نبذه عن تعليم القراءة والكتابة عند منتسورى :

تصر منتسورى على عنصر الفهم في القراءة والكتابة . فالكتابة ليست مجرد عرض لرموز الحروف والأسطر أمام الطفل . والقراءة لديها عبارة عن تفهم الفكرة من الرموز المكتوبة (عبدالعزيز ، ١٩٧٨م ، ص ٦٧) . كما أنها نادت بأهمية المدرس وواجبه الشاق ، وأن عليه أن يمتاز بالرغبة في النجاح في مهمته والاخلاص لعمله لتحقيق النمو المتكامل للطفل . (عبدالدائم ، ١٩٧٨م ، ص ٥٤٢)

چون ديوى (١٨٥٩م - ١٩٥٢م) :

كان فيلسوفاً ومربياً أمريكياً . ومن أهم أفكاره التربوية أنه جمع في نظرياته بين تيار علم النفس التجريبي وتيار علم الاجتماع التطورى ، وحدد وظيفة المدرسة بإعداد الفرد عن طريق الخبرة ، ليكون عضواً اجتماعياً عاملاً في تطوير البيئة . ورأى أن التربية لا تكون بالتلقين والحفظ ، وإنما بالنشاط والعمل في صميم الحياة الاجتماعية . واعتبر المجتمع جهازاً معقد التركيب يصعب على الناشيء فهمه . ونادى بتحويل المدرسة إلى صورة مبسطة للحياة الاجتماعية بحسناتها دون سيئاتها ، حتى تصبح أداة رقي للحياة الاجتماعية وأن المعرفة في رأيه لا تكتسب إلا بالجهد . وذلك عن طريق تكليف المتعلمين بمهمات تتلائم مع كل ما يجلب لهم الفائدة ، وتهدف إلى تحقيق غرض معين مبنى على تصميم واضح . وعرفت طريقته هذه بـ « طريقة المشروع » .

وقد طبقت نظرياته في الولايات المتحدة الأمريكية وسائر الأمم الناطقة بالإنكليزية والمتأثرة بثقافتها . (الخورى ، ١٩٦٤م ، ص ١٩٨)

ومعنى التربية عند چون ديوى أنها هي الحياة نفسها ، وليست مجرد إعداد للحياة . وبأنها عملية نمو ، وعملية تعلم ، وعملية بناء وتجديد للخبرة . ولتكون التربية عملية لابد أن ترتبط بشئون الحياة ، وأن التربية الصحيحة هي التي تتحقق عن طريق الخبرة .

أما بالنسبة لهدف التربية عنده فهي أنها تساعد المتعلم على أن يستمر في تربيته ، وبالتالي في نموه وتعلمّه وتكيفه مع بيئته وحياته .

(الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٣٥٠)

ونظرية التربية في رأي چون ديوي كما نشرها في كتابه (عقيدتي التربوية) تتلخص في النقاط التالية :

١ ـ إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري . وبمقتضاها يصبح الفرد وريثاً لما حصلته الإنسانية من حضارات .

٢ ـ تتم هذه التربية لا شعورياً عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع ، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر .

٣ ـ التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ، ومطالب المجتمع من جهة أخرى . فالتربية ثمرة علمية هما علم النفس وعلم الاجتماع . (شفشق ، د. ت ، ص ٣٧٩)

طريقة المشروع :

وهي من أشهر الطرق النشيطة التي تعد تنفيذاً للآراء التربوية التي نادى بها « چون ديوي » وقد قام بتنفيذها « وليم كلباترك » أحد تلاميذه في سنة ١٩١٨م .

والمشروع : نشاط غرضي يقود صاحبه إلى العمل المثمر ، وتدفعه إليه الرغبة والميل ، وهو العمل المبنى على مشكلة ، يحاول الطلاب حلها في الظروف الطبيعية ، وتهدف هذه الطريقة إلى تعويد الطلاب الاعتماد على أنفسهم في بحث المشكلات . ودراستها والتفكير في حلها . وبذلك تقوى شخصياتهم ، وتدربهم على الحياة التعاونية الاجتماعية ، وتبث فيهم الروح الإبتكارية .

(ادريس ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٠٤)

ومن أهــم أفكاره المتصلة بطرق التدريس ، والتي طبقـها في مدرسـته ، ودعا إليها في كتبه ومقالاته التربوية ما يأتي :

١ ـ الإعلاء من شأن الخبرة المباشرة ، والإيمان بأن التربية الصحيحة إنما تتحقق عن طريق الخبرة الصالحة ومن مميزات الخبرة الصالحة أنها تساعد الفرد على بناء قدراته وتجددها وإستمرارها .

٢ ـ إيمانه بوجوب الربط بين خبرات المتعلم داخل المدرسة وخارجها ، وتأكيده على مبدأ الربط بين المعرفة النظرية والعمل .

٣ ـ ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين مع مراعاة ميولهم ودوافعهم ووجوب استغلال هذه الدوافع والميول في جذب انتباههم ، ودفعهم إلى النشاط الذاتي الخلاق بمساعدة المدرس ، الذى يجب عليه أن يعمل على تنظيمها وفق خطة مرسومة لتحقيق أهداف تربوية مرغوب فيها .

٤ ـ الطريقة الصالحة في نظر « ديوي » هي التي تساعد المتعلم على إيقاظ قواه واستعداداته العقلية ، وتعويده على الاستقلال والاعتماد على النفس والتفكير.

٥ ـ لابد أن يكون لنشاط المتعلم قيمة ومعنى بالنسبة إليه . ويصر « ديوي » على أن التعليم الفعال إنما يتحقق عندما يكون العلم المراد تعلمه يعنى شيئاً بالنسبة للمتعلم .

٦ ـ الطريقة العامة التي يوصى « ديوي » المدارس باتباعها في تنظيم خبرات تلاميذه ، وفي تدريسهم هي طريقة المشروع .

(الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٣٥٨ – ٣٦٤)

مقارنة بعض آراء التربية الحديثة ببعض آراء الزرنوجي :

عند مقارنة بعض آراء التربية الحديثة بآراء الفكر التربوي لبرهان الدين الزرنوجي الموضحة في الفصول السابقة ، تناولت الباحثة العناصر المشتركة من هذه الآراء التي تختص بالتربية والتعليم كما وردت في فكر الزرنوجي ثم مقارنتها بما ورد في فكر التربويين المحدثين المذكورين آنفاً وهذه العناصر هي :

١ ـ *حرية المتعلم ومسؤوليته* :

الاختيار عند الزرنوجي يؤكد على حرية المتعلم ومسؤوليته وتتسع مسؤولية المتعلم لديه فتشمل اختيار العلم ، اختيار المعلم ، مع المشاورة في اختيار العلم والمعلم ، ثم الثبات بعد الاختيار ، واختيار الشريك في التعلم .

وهكذا يتبين لنا شمول نظرته لذات المتعلم التي تتميز بالاستقلال والحرية والمسؤولية ، وبما أن نظرة الزرنوجي مشتقة من التربية الإسلامية ؛ والتي ترتكز على الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فتنبه الباحثة إلى مدى حرية المتعلم في الإسلام ، وأن المتعلم مكرم بعقله وقلبه ، وهو حّر بعبوديته لله وحده ، وهو مسؤول عن ذاته ، وبالتالى عن مجتمعه ، ومن ثم فإن له كل حقوق الكرامة والحرية والمسؤولية .

أما بستالوتزى فقد نادى إلى إحترام شخصية المتعلم ، وإعطائه قسطاً كبيراً من الحرية حتى تظهر ميوله الطبيعية ، وعلى هذه الروح تبنى التربية الحديثة . (الابراشي ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م ، ص ٧ – ٣) . بينما ترى ماريا منتسورى أن الغرض من التربية هو تربية شخصية المتعلم ، وأن يشجع المتعلم على أن يتعلم بنفسه ، ويعتمد عليها وهكذا يلاحظ إهتمامها باستقلال المتعلمين بأعمالهم ، فكل متعلم يدرس حسب رغبته وإمكانياته ، ويعتمد على نفسه ، ولا تتدخل المرشدة بعمله إلا عند الضرورة ، لتقوم بالإرشاد ، وهذه الحرية في التعلم في رأيها هي الشرط الأساسي لنمو الطفل وتقدمه .

أمـا عند چود ديوي فنلاحظ أنه قـد ذهب في طريقـه المشـروع إلى تعـويد المتعلمين الاعتماد على أنفسهم في بحث المشكلات ودراستها والتفكير في إيجـاد الحلول لها ، مما يؤدى إلى قـوة شـخصـياتهم وتدريبـهم على الحيـاة التعاونية والاجتماعية .

من كل مـا سبق يلاحظ أن الاهتمام بشخصية المتعلم لدى المفكرين التربويين المحدثين في التعلم عن طريق الحرية والاختيار تنبع من داخل المتعلم ذاته ، مما يدفـعه على أن يتصـرف بمسؤوليتـه وبالتالي يمكن القـول أن الزرنوجي وبستالوتزى ومنتسـورى وديـوى اهتموا جميعاً بالمتعلم وبحريته وبنفسيته ، إلا أن الزرنوجي سبق هؤلاء التـربويين المحـدثين في ذلك بقرون عـديدة فـقـد اهتم الإسلام بالمتعلم وحريته منذ فجره ، إذ ضمن الإسلام للمتعلم الحرية في عبـادة الله وحـده لا شـريك له ، وأن يتـحـرر من كل عـبـوديات البـشـر وحـمله مسؤولية عمارة الأرض والمحافظة عليها .

٢ ـ *العلم والمعلم* :

إن العلم عند الزرنوجي لا ينال ولا ينتفع به إلا إذا كان له عند المتعلم تعظيم وتوقير ومن هنـا تعلو قيمـة العلم عند المتعلم ، ويكون توقـيره هذا محـوراً بل مـصـدراً كـبـيـراً من الاهـتـمـامـات والأنشطة المرتبطة بـتـعليـمـه إذ لا يمكن أن يتـحـقـق لدى المتـعـلم تعظيم حق للعلم دون أن يظهـر هذا في تعظيم المعلم وتوقيره . ومن دلائل توقـير المتعلم للمعلم : ألا يمشي أمـامه ، ولا يجلس مكانه ولا يسـألـه شـيـئـاً عند مـلالتـه ـ ضـجـره ـ وأن يراعي وقت الدرس ، ولا يدق الباب عليه بل يصبر حتى يخرج . وللزرنوجي نظرة ثاقبة حيث أنه يؤكد على تعظيم آخر ، وهو تعظيم الشركاء في التعلم ، كـمـا أنه ينصح المعلم بالتواضـع لمن يعلمـهم ، وأن يرشدهم ، ويراعـيهم ، ويشفق عليـهم ، كل ذلك يجـتـمـع في موقف التعلم ليوفر جواً نفسياً واجتماعياً صـالحاً لحدوث التعلم .

أما في التربية الحديثة فيورد بستالوتزى من ضمن آرائه التربوية أنه يجب أن تكون المحبة أساس العلاقة بين المعلم والمتعلم ، ومحور النظام الدراسي . (شفشق وآخر ، د. ت ، ص ٢٤٠) . وأن تكون العلاقة بين المدرس والتلميذ علاقة أبوة قائمة على العطف والحب والتعاون ، وفي الوقت ذاته ينادى بوجوب اتباع سياسة الحزم من قبل المعلم ، وبوجوب تأكيد سلطته . (الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٢١٩)

كما أن منتسوري أكدت على أهمية المدرس ، وواجبه الشاق لذا فلابد أن يمتاز المدرس بالرغبة في الاخلاص لعمله ، لتحقيق النمو المتكامل للمتعلم . وهكذا يتضح أن كلاً من الزرنوجي وبستالوتزى ومنتسورى قد اهتموا بالمعلم والمتعلم والشريك والعلاقة بينهم ، وأكدوا أن سلامة هذه العلاقة هي من أهم العوامل المساعدة على نجاح عملية التربية والتعليم .

٣ ـ *إستمرار التعلم* :

ينصح الزرنوجي المتعلم بأن يكون نشاطه للتعلم مستمراً من المهد إلى اللحد ، كما ينصحه بأن لا يكون لنشاطه فترة انقطاع ، لأنه اعتبرها آفة ، فالانقطاع عن ممارسة الانشطة يؤدى إلى هبوط مستوى همة المتعلم ، وبالتالى إلى إضعاف لما اكتسبه من سلوك أو معارف قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ « سورة طه ، آية : ١١٤ » . وإن الاستزادة في تحصيل العلم تتطلب الاستمرار في طلب العلم وهنا أيضاً كان له السبق إذ يلاحظ إن الهدف من التربية عند چون ديوي ليس إعداد للحياة ، وإنما الحياة نفسها وهي عملية نمو وعملية تعلم وبناء وتجديد مستمرة ، وهي بالتالي تسعى لمساعدة المتعلم على الاستمرار في تربيته ونموه وتعلمه وتكيفه مع بيئته وحياته ما دام فيها . (الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٣٥٠)

٤ ـ *الفهم* :

ينصح الزرنوجي المتعلم أن يُقبل على ما يفهمه من الأستاذ ، وأن يبتعد عما لا يفهمه ، لأنه يورث كلالة الطبع ـ الملل ـ ويذهب الفطنة ، ويضيع الوقت ويركز بستالوتزى أيضاً في آرائه التربوية على الفهم ، حيث أنه نادى بوجوب إعطاء المتعلم الوقت الكافي لكل نقطة من نقاط الدرس حتى يفهمها فهماً جيداً . (شفشق ، د. ت ، ص ٢٣٩)

أما ماريا منتسورى فإنها تصر على عنصر الفهم في القراءة والكتابة ، فالكتابة عندها ليست مجرد نقل رموز الحروف من الاسطر أمام الطفل ، كذلك فإن القراءة عبارة عن تفهم الفكرة من الرموز المكتوبة . (عبدالعزيز ، ١٩٧٨م ، ص ٦٧)

٥ ـ *أهمية العلم للمتعلم* :

يرى الزرنوجي أنه يجب أن يكون هناك باعث على التحصيل والتعلم من داخل المتعلم ، حتى يشعر بلذة التعلم والفهم ، وبالتالي يحقق لنفسه الارتياح عندما يصل إلى مستوى التمكن من العلم والسيطرة عليه . ولا تخالف منتسورى الزرنوجي فيما توصل إليه قبلها بقرون ، فهي تعتقد أن الباعث الوحيد لعمل المتعلم هو السرور بالنجاح في القيام بالعمل التعليمي كما ينبغي ، ولذلك لا ثواب ولا عقاب في مدارسها . كما ان جون ديوي يرى أنه لابد أن يكون لنشاط المتعلم قيمة ومعنى بالنسبة إليه ، ويصر ديوي على أن التعلم الفعال إنما يتحقق عندما يكون العلم المراد تعلمه يعني شيئاً بالنسبة للمتعلم . (الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٣٦٣)

٦ ـ *التدرج* :

يراعي الزرنوجي التدرج في تعليم المتعلم ، وذلك بأن يبدأ المتعلم بما هو أقرب إلى فهمه ، ويشمل تحديد قدر الجزء المدروس بحيث يمكن حفظه ، والتمكن منه ، وضبطه وإعادته دون تسرع أو قلق ، ثم التدرج في زيادة القدر المدروس

كل يوم زيادة تكون يسيره على المتعلم وعليه أن يتبع أسلوباً معنياً في مراجعته وحفظه ، لأنها طريقة مُعينة ، تساعد على تثبيت معلوماته فإذا بدأ بالتكرار مرتين أصبح هذا نمط تعلمه حتى نهاية التعلم ، وكذلك الحال إذا اتبع أسلوب التكرار عشر مرات . أي إنه إذا اعتاد أسلوباً معيناً فإنه لا يستطيع تركه بسهولة .

ويرى بستالوتزى أن على المتعلم أن يبدأ بالأسهل ، ثم ينتقل منه إلى ما هو أقل سهولة على أن يكون الانتقال تدريجياً ومتمشياً مع نمو الطفل ؛ فهو يؤمن بوجوب البدء بالمدركات الحسية ، ثم الانتقال من المحسوس إلى المعقول ، ومن البسيط إلى المركب ، ومن العام إلى الخاص ومن المجمل إلى المفصل ، ومن المعلوم إلى المجهول . (الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٢٨٣)

٧ ـ ***اقتران العلم بالعمل*** :

يصر الزرنوجي أن قيمة العلم لا تتجلى إلا بالعمل به ، فلا يرى فائدة للعلم إن لم يعمل به المتعلم ويطبقه . ويتفق المفكرون المحدثون مع الزرنوجي في ذلك فيرى بستالوتزى أنه لا فائدة من العلم إلا إذا كان أساساً للعمل . (الأبراشي ، ١٣٦٩هـ ، ص ١٦) . فهو يربط المعرفة بالتطبيق العملي لها أما ماريا منتسورى فترى أهمية استخدام الألعاب في تربية حواس المتعلمين ، فالعلم في رأيها ليس نظرياً ، وإنما تطبيقياً ، وذلك عن طريق ما استحدثته من ألعاب . وكذلك فإن چون ديوي يؤمن بوجوب الربط بين خبرات المتعلم داخل المدرسة وخارجها ، ويؤكد على مبدأ ضرورة الربط بين المعرفة والنظرية والعمل . (الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٣٥٩)

٨ ـ ***الأخلاق*** :

ينبه الزرنوجي إلى أنه كلما كان طالب العلم أكثر ورعاً كلما كان علمه أنفع ، والتعلم عليه أيسر ، وفوائده أكثر . فهو يربط بين الورع والنفع والفائدة من جهة وبين الورع والتعلم من جهة أخرى ، ويذكر بعض أنماط السلوك التى

تؤدى إلى الورع مثل الاحتراز من الأخلاق الذميمة التي يجب على المتعلم معرفتها ومعرفة أضرارها ، كالتكبر والغيبة واللغو وكثرة الكلام فيما لا ينفع ، ومخالطة أهل الفساد والمعاصي ، والتعطيل والشبع وكثرة النوم ، بينما يحث على احترام الذات وعدم إذلالها . فالورع لديه يكون من خلال التمسك بالأخلاق الحميدة . أما بستالوتزى فقد صرح بأن الطفل الذى تعلم الصلاة والتفكير والعمل هو أكثر من نصف متعلم ، وأنه يرى أنه ليس الغرض من تعلم الطفل أن يتعلم من العلم مالم يكن يعلمه فحسب بل يتعلم الآداب والأخلاق وحسن المعاملة . (الابراشي ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م ، ص ٧٣)

والأخلاق عند چون ديوي تكتسب من خلال التفاعل مع البيئة ، التي يعيشها المتعلم عن طريق الخبرة والتجربة ، وهي ليست مفروضة عليه من الدين ، وهي عبارة عن أخلاق اجتماعية أو ظاهرة اجتماعية لا تنبع من النفس الإنسانية أو العقل ، بل تكتسب نتيجة للتفاعل مع البيئة ، وتكون أخلاقية بقدر ما تعمل على نمو الفرد ، وحل مشاكل المجتمع ، وهي متغيرة حسب المنفعة . (الشيباني ، ١٩٧٥م ، ص ٣٤٣ - ٣٤٦)

وهكذا وبعد مقارنة أهم آراء بعض المفكرين التربويين المحدثين في التعلم بآراء الزرنوجي ، يظهر فضل التربية الإسلامية . فأساسيات التربية الإسلامية مستنبطة من تعاليم الكتاب الكريم والسنة المطهرة فهي ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، وإنما الأخذ بها ، وطريقة تطبيقها تتطلب منهجاً كما تتطلب نظاماً تعليمياً وأسلوباً لاعداد المعلمين وهذا هو الجانب الذي يحدث فيه التغيير . وتركز التربية الإسلامية على الجانب الديني والأخلاقي في التربية ، وفي الوقت نفسه لن تهمل النواحي النفعية الأخرى ، وبذلك جمعت بين العلم والأخلاق . (الجندى ، د. ت ، ص ٣٩٦)

ويمكن القول أن التربية الإسلامية جمعت بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ، وهي تربية دينية خلقية عقلية جسمية تختلف عن أي تربية أخرى ، وإن كانت التربية الحديثة في عهودها الأخيرة قد

توصلت إلى ما تدعوا إليه . إلا أن التربية الإسلامية قد سبقتها بقرون ، ويتجسد ذلك في الأفكار التى نادى بها المفكرون المسلمون قبل ظهور التربية الحديثة بمئات السنين ، ويتضح ذلك فيما طرحناه سابقاً من موقع الفكر التربوى للزرنوجي من التربية الحديثة . ورغم مرور السنين فما زالت التربية الإسلامية قادرة على التطور لتساير مختلف العصور والبيئات ولتلبي حاجات الأفراد ومتطلبات المجتمع .

الخاتمة والتوصيات

التربية تجسيد لكل ما تستهدفه الأمة من غرس قيم ، وعقيده ، ومنفعة في الإنسان ، ومن الطبيعي أن تتجسد تربية المجتمع في أفراده . والفصل بين التربية والدين إذا صلح منهجاً في الغرب فإنه لا يصلح في المجتمع الإسلامي الذي يجعل من الدين والأخلاق أهم المقومات الأساسية للمجتمع ، والفكر التربوي الإسلامي يمتاز بأصالتـه وبعمقـه لارتكازه على القــرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . كما يمتاز بصلاحيته لمختلف العصور والبيئات وتلبيته لحاجات الفرد ومطالب المجتمع وإن الرجوع والتنقيب في كتب الفكر الإسلامي يمكن أن يفيدنا في تحقيق النجاح لعملية التربية والتعلم في وقتنا الحاضر .

فمن خلال ما طرحناه من كتاب « تعليم المتعلم طرق التعلم » لبرهان الدين الزرنوجي نجد أن فكره التربوي يتميز بالواقعية والشمول ، وأنه اهتم باركان العملية التعليمية ، وبقطبيها المعلم والمتعلم .

وقد خلصت الباحثة من خلال الفصول السابقة إلى ما يلي :

١ ـ إن كتاب تعليم المتعلم يمثل التفاعل بين عصر الزرنوجي وشخصيته . إذ اعتمد في تأليف كتابه على تحديات عصره الداخلية ـ من تمزق وفرق ومذاهب ـ والخارجية من غزو صليبي ومغولي .

٢ ـ كتاب الزرنوجي عُرف أوروبا واشتهر وقد تأثرت به تأثراً مباشراً خاصةً في أوائل القرن العشرين . والدليل على ذلك بعض الدراسات النفسية التي تأثرت خاصةً فيما يتعلق بدراسة ظاهرة النسيان للعالم « انبج هاوس » .

٣ ـ إن الزرنوجي افرد دراسة خاصة عن تعليم المتعلم بخلاف المؤلفات الأخرى في عصره ، وإنه ركز في كتابه على قواعد التعلم ، وطلب العلم وشرائطه من خلال مجموعة مضامين وضح كل منها في كتابه ـ التعليم المستمر وإخلاص النية لله ، إلزامية التعلم ، حرية المتعلم ، المشاورة ، التدرج في التدريس ، مراعاة الفروق الفردية ، التأمل والفهم ، التكرار ، الرحلة في طلب العلم .

٤ ـ إهتمام الزرنوجي بجميع نواحي المتعلم الاجتماعية من خلال علاقته بمعلمه وشريكه ، والانفعالية عن طريق مبادىء نفسية مثل السكينة القلبية والتوازن الإنفعالي ، التى تؤدى إلى تركيز الإهتمام عند المتعلم بالتالي يؤدى للحفظ ، وصحية كتقليل الغذاء وضرورة السواك وشرب العسل . وهذا ما تسعى إليه التربية الحديثة في معظم المجتمعات إذ تسعى لتكامل شخصية المتعلم وهو من أهم العوامل المساعدة علي نجاح العملية التعليمية .

٥ ـ اعتمد في فكره التربوي على مبادىء الدين واستشهد بالقرآن الكريم والحديث الشريف والحكم والاثار والاشعار ذات المضمون التربوي بعكس الأفكار التربوية الحديثة .

٦ ـ اعتمد على التربية الدينية الخلقية التي هي أساس متين من أسس التربية العامة في الإسلام وتأكيده على ضرورة التمسك بها في العملية التعليمية .

٧ ـ اعتمد على الإختصار مع الاستيفاء والوضوح .

٨ ـ رغم أن كتاب الزرنوجي كان خاصاً بالمتعلم إلا أنه اهتم بأركان العملية التعليمية وبجوانبها . فاهتم بتحديد صفات المعلم والمتعلم على السواء .

٩ ـ اهتم بالطرق المساعدة على التعلم مثل المناظرة والمطارحة والمذاكرة والسؤال وتحديده للآداب المتعلقة بهم .

١٠ـ اهتم بالأوقات وأيها أجدى للتعلم ، ذلك لأن قابلية المتعلم للعلم تتفاوت من وقت إلى آخر .

١١ـ اهتم بتوضيح الأسباب المؤدية للحفظ والأسباب المؤدية للنسيان فتناول المتعلم من جوانبه الجسمية والنفسية .

١٢ـ التركيز على أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم . حيث لا يكتب التوفيق لطالب العلم بدونها .

١٣ـ تحويل العلم إلى عباده للمتعلم عن طريق تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له وهذا لا يتنافى مع الحرية الممنوحة للمتعلم .

١٤ـ إهتمامه بضرورة ربط العلم بالعمل لتحقيق الهدف من العلم . ألا وهو المحافظة على عقيدة الإسلام والمشاركة في إعمار الأرض .

١٥ـ مناداته بجعل العلاقة بين المتعلم والمعلم من جهة ، والمتعلم ورفاقه من جهة أخرى علاقة إحترام وود ، تقوم على التعاون وهذا مبدأ هام في عملية التعلم .

١٦ـ مناداته بتقدير عمل المعلم وضرورة احترامه ، ووضعه لآداب خاصة به وهي من العوامل الأساسية التي تساعد المعلم على تحقيق رسالته فلابد أن يتحلى المعلم بدرجة عالية من الخلق الرفيع والمسئولية المهنية فهو يقوم بعمل تعتمد عليه تربية الأبناء ومصائرهم .

١٧ـ اعطاء الحرية للمتعلم في اختيار العلم والأستاذ والشريك . وهذا مبدأ نفسي تربوى هام وضروري في التعلم . فهو يعود المتعلم على تحمل المسؤولية تجاه نفسه ، ثم مجتمعه . كما أن هذا المبدأ يساعد في إعداد متخصصين مهره في مجالات مهنية مختلفة ، مما يساعد المجتمع على توفير إحتياجاته المتنوعة . وهذا ما تركز عليه الآن معظم المجتمعات .

١٨ـ اهتمامه بطرق وأساليب التدريس المنتشرة في عصره ، وذلك لمساعدة المتعلم على تلقى المعلومات والمعارف وإستيعابها .

١٩ـ مراعاته الفروق الفردية بين المتعلمين .

٢٠ـ دعوته إلى التعلم المستمر الدائم ، أو كما يسميه الزرنوجي بالتعلم من المهد إلى اللحد . وهذا ما تدعو إليه المجتمعات المعاصرة .

٢١ـ أهمية تمسك المتعلم والمعلم بالدين وبالدعاء والشكر والذكر ، وأن يكون سلوك كل منهما نتاجاً ، لما يؤمن به .

٢٢ـ إيجاد مجتمع مسلم متعلم عن طريق إلزامية التعليم ، وذلك بإتاحة فرصة التعلم لكل فرد مسلم ، حيث أنه لابد من تعلم القرآن وأركان الدين الإسلامي والحقوق والواجبات والآداب الإسلامية . وبذلك يصبح كل فرد على جانب من العلم فالدعوة للعلم إلزامية للجميع لتحقيق عبادة الله .

٢٣ـ إهتمامه بتوجيه وإرشاد المتعلم إلى طلب العلم المناسب لقدراته وإستعداداته وميوله ليتحقق التعلم .

٢٤ـ مناداته بضرورة التدرج في التعلم حسب مراحل نمو وفهم المتعلم . وهو مبدأ تربوي هام جداً في العملية التربوية ، وهذا ما يطبق في عصرنا الحاضر حيث إن التعلم قسم إلى مراحل تبعاً لمراحل نمو المتعلم . روضة ، تمهيدى ، إبتدائي ، متوسط ، ثانوي ، جامعة كما أن المواد تدرس تبعاً لتطور فهم المتعلم فتبدأ بالبسيط السهل الملموس ، ثم تتدرج بالمتعلم خلال المراحل الدراسية ، إلى أن تصل إلى الصعب المبهم اللامحسوس .

٢٥ـ تأكيده على أهمية إختيار الرفيق لما في ذلك من تأثير تربوي على شخصية المتعلم .

٢٦ـ ركز على أهمية التكرار للمتعلم في عملية التعلم . وهذا من المبادىء التربوية المهمة في تنشيط ملكة التعلم عند المتعلم .

٢٧ـ ان من الآراء التي نادت بها التربية الحديثة تتفق مع كثير من الآراء التي نادى بها الزرنوجي وهذا يوضح لنا مدى أصالة التربية الإسلامية ، وأنها ما تزال تشكل قوة فكرية قادرة حتى عصرنا الحالى على إرشادنا إلى أفضل الطرق لمواجهة تحديات التربية والتعليم المعاصرة .

التوصيـــات

وبعد ذكر ما أُستخلص من الفصول السابقة تتقدم الباحثة ببعض التوصيات حول البحث ومنها :

١ ـ العمل المستمر على البحث في الفكر التربوي الإسلامي . ومحاولة إبرازه وإثبات هويته عن طريق توضيحه وتخليصه من الشوائب .

٢ ـ ربط الفكر التربوي الإسلامي بالأصول الإسلامية للتربية التي تشكل القاعدة السليمة لبناء الشخصية المسلمة الفعالة في المجتمع .

٣ ـ إجراء دراسات وأبحاث في كل من العوامل النفسية التي لها أكبر الآثر في العملية التربوية التعليمية مثل :

أ ـــ التأمل : وإكتشـــاف دوره التربوى في عملية التعلم ومدى تأثيره على المتعلم .

ب ـــ النية : لمعرفة دورها ومدى تأثيرها في التعلم وتوجيهها نحو التعلم الصحيح .

جـ ـ ان قراءة القرآن نظر يساعد على الحفظ .

د ـ إن حفظ كتاب في موضوع يساعد على حفظ ما يتلقاه المتعلم فيما بعد في مواد ذات صلة بموضوع هذا الكتاب .

٤ ـ إجراء دراسات تربوية مقارنة بين إتجاه علماء المسلمين وبين إتجاهات التربية الحديثة تدعيماً لعملية التأصيل للفكر التربوي الإسلامي .

٥ ـ الأخذ بالآراء التربوية الحديثة الموافقة للمفاهيم والقيم الإسلامية .

قائمة المراجـــع

المراجـــع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الأبراشي ، محمد عطية (١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٣م) : الإتجاهات الحديثة في التربية ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ٦ .

٣ ـ الأبراشي ، محمد عطية (١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م) : روح التربية والتعليم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، طـ٤ .

٤ ـ ابن الاثير ، على بن محمد (١٣٩٧هـ ـ ١٩٦٣م) : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، طـ٢ ، ١٤ جزءاً .

٥ ـ ابن جماعه ، ابراهيم سعد الله (د. ت) : تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦ ـ ابن الجوزى ، عبدالرحمن بن على (١٣٥٨هـ) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٢ جزءاً .

٧ ـ ابن الجوزى ، أبو الفرج (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) : الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ، تحقيق الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد ، دار الدعوة ، الاسكندرية .

٨ ـ ابن الجوزيه ، محمد بن أبو بكر (١٤٠٣هـ) : رسالة في امراض القلوب ، دار طيبه للنشر والتوزيع ، الرياض .

٩ ـ ابن الجوزيه ، محمد بن أبي بكر (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) : زاد الميعاد في هدى خير العباد ، حققه وراجع احاديثه وعلق عليه الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طـ٢٣ ، ٤ مجلدات .

١٠ـ ابن حنبل ، أحمد (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت .

١١ــ ابن خلدون ، عبدالرحمن (١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م) : مقدمة ابن خلدون ، دار القلم بيروت ، لبنان .

١٢ــ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (د. ت) : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار إحياء التراث العربي .

١٣ــ أبو داوود ، سليمان بن الأشعث (١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٩م) : سنن أبو داوود ، تحقيق عزت عبيد دعاس ، مكتبة منار السبيل ، الهرم .

١٤ــ ابن كثير ، اسماعيل (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م) : تفسير القرآن الكريم ، خرج أحاديثه الشيخ مقبل بن هادى الوادعي ، دار الأرقم ، الكويت ، طـ١ ، م١ .

١٥ــ ابن كثير ، اسماعيل (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م) : تفسير القرآن الكريم ، دار المعرفة بيروت ، طـ٢ ، المجلد ٢ ، ٣ ٤ .

١٦ــ ابن ماجه ، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد (د. ت) : سنن ابن ماجه ، علق عليه فؤاد محمد عبدالباقي ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، تركيا ، ٢ جزء .

١٧ــ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (د. ت) : لسان العرب ، دار قاصد ، ١٥ جزء .

١٨ــ أبي شيبه ، عبدالله بن محمد (١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م) : الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، الدار السلفية ، الهند .

١٩ــ ادريس ، على (١٤٠٥هـ) : مدخل إلى علوم التربية ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، طـ١ .

٢٠ــ الأصبحي ، مالك بن أنس (د. ت) : كتاب الموطأ ، وكتاب اسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي ، قدم لهما وراجعهما ونسقهما فاروق تسعد ، دار الآفاق الجديدة .

٢١ـ أمين ، أحمد (١٣٤٣هـ ـ ١٩٣٥م) : ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، طـ١٧ ، ج٢ .

٢٢ـ الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٥٥م) : التربية في الإسلام ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

٢٣ـ البخارى ، محمد بن اسماعيل (١٤٠٠هـ) : الجامع الصحيح ، قام بشرحه وتصحيحه وتحقيقه محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي نشره قصي بن محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة .

٢٤ـ البغدادي ، اسماعيل باشا (١٩٥١م) : هداية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، وكالة المعارف الجليلة استانبول ، ج٥ .

٢٥ـ البغدادي ، شهاب الدين ياقوت الحموى (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ج٣ .

٢٦ـ الترمذى ، محمد بن عيسى (د. ت) : صحيح الترمذى ، تحقيق حافظ ابن العربي مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٣ جزء .

٢٧ـ التميمي ، تقي الدين عبدالقادر (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) : الطبقات السُنيه في تراجم الحنفية ، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، الرياض .

٢٨ـ جابر ، جابر عبدالحميد وخيرى كاظم (١٩٧٨م) : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

٢٩ـ الجابي ، بسام عبدالوهاب (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) : معجم الاعلام ، الجفان والجابي للطباعة والنشر .

٣٠ـ جبران ، أحمد (١٤١٤هـ) : فتح الكريم المنان بشرح نفحة الرحمن نظم شعبه الايمان ، مراجعة وتحقيق د. هاشم محمد على مهد ى، مطابع الصفا ، بمكة المكرمة .

٣١ـ الجرجاني ، على بن محمد بن على (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) : التعريفات ، تحقيق وتعليق الدكتور عبدالرحمن عميره ، عالم الكتب ، بيروت .

٣٢ـ الجوهرى ، اسماعيل بن حماد (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) : الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة العربية ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، طـ٢ ، ٦ مجلدات .

٣٣ـ حسن ، أمينة أحمد (١٩٨٥م) : نظرية التربية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، دار المعارف ، القاهرة .

٣٤ـ حسن ، حسن ابراهيم (١٩٦٤م) : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار احياء التراث ، طـ٧ ، ٤ مجلدات .

٣٥ـ حلواني ، فتحية عمر (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) : دراسة ناقده لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام ، المملكة العربية السعودية ، جده ، طـ١ .

٣٦ـ الخلد ، عبدالسلام محمد ، مجلة دار الحديث الحسنيه (١٤١٣/٩/ ١٩٩١م) « التعرف بكتاب تمام النصيحة في ارشاد الطلبة » ، الصفحات ٣٩٩ ـ ٤١٥ .

٣٧ـ خليل ، محمد رشاد (١٤٠٧هـ) : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، دار القلم للتوزيع والنشر ، الكويت .

٣٨ـ خورشيد ، ابراهيم زكى وآخرون (١٩٨٣م) : دائرة المعارف الإسلامية ، القاهرة ، م١٠ .

٣٩ـ الخورى ، أنطوان (١٩٦٤م) : أعلام التربية وحياتهم وآثارهم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

٤٠ـ الخيمي ، صلاح محمد : المجلة العربية للتربية (١ مارس ١٩٨٧م) « عرض كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم » ، الصفحات ٩٠ ـ ٩٦ .

٤١ـ الدرامي ، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن (د. ت) : سنن الدارمي ، دار احياء السنه النبوية ، جزءاين .

٤٢ـ راجح ، أحمد عزت (١٩٧٣م) : أصول علم النفس ، المكتب النفسي الحديث للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، طـ٩ .

٤٣ـ الرازي ، محمد ابن ابي بكر (د. ت) : مختار الصحاح ، دار الحديث ، القاهرة .

٤٤ـ راشد ، علي(١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) : شخصية المعلم وآداؤه في ضوء التوجيهات الإسلامية ، دار الفكر العربي ، مصر .

٤٥ـ الزركلي ، خير الدين (١٩٨٤م) : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، طـ٦ .

٤٦ـ الزرنوجي ، برهان الدين (١٣٨٦هـ) : تعليم المتعلم طريق التعلم ، تحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

٤٧ـ الزرنوجي ، برهان الدين (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) : تعليم المتعلم طريق التعلم ، تحقيق سيد أحمد عثمان ، مكتبة الانجلو المصرية .

٤٨ـ الزرنوجي ، برهان الإسلام (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م): تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق مروان القباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٤٩ـ الزرنوجي ، برهان الدين (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) : تعليم المتعلم طريق التعلم ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد ، مكتبة النهضة المصرية .

٥٠ـ زيدان ، محمد مصطفى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) : نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية ، دار الشروق ، جدة .

٥١ـ زيعور ، علي : مجلة الباحث (٥ سبتمبر ١٩٨٣م) « الحكمة العملية والفكر التربوي عند الزرنوجي » ، لبنان ، ٤٧ ـ ٦٣ .

٥٢ـ السُبكي ، تاج الدين عبدالوهاب (د. ت) : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح ، دار احياء الكتب العربية ، ١٠ مجلدات .

٥٣ـ السفياني ، عابد محمد (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) : الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، مكتبة المناره ، مكة المكرمة .

٥٤ـ شاكر ، محمود (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) : التاريخ الإسلامي ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ح ٥ – ٦ .

٥٥ـ شفشق ، محمود عبدالرزاق ومنير عطا الله سليمان (د. ت) : تاريخ التربية، دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية ، دار القلم ، الكويت ، طـ٢ .

٥٦ـ شلبي ، أحمد (١٩٦٠م) : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، جـ٤ .

٥٧ـ شلبي ، أحمد (١٩٧٨م) : التربية الإسلامية ، نظمها وفلسفتها وتاريخها ، مكتب النهضة المصرية ، طـ٢ .

٥٨ـ الشيباني ، عمر محمد التومي (١٩٧٥م) : تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، طـ٢ .

٥٩ـ الشيباني ، عمر محمد التومي (١٣٩٢هـ ـ ١٩٨٣م) : فلسفة التربية الإسلامية ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ، ليبيا ، طـ٤ .

٦٠ـ الشيخ ، صفاء عز الدين (١٤١٢هـ) « تصور إسلامي لتعليم المرأة في السودان » ، كلية التربية ، جامعة أم القرى .

٦١ـ صالح ، أحمد زكي (د. ت) : علم النفس التربوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، طـ٢ .

٦٢ـ طباره ، عفيف عبدالفتاح (١٩٨٨م) : روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، طـ٢٧ .

٦٣ـ العبد ، عبداللطيف (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) : دراسات في الفلسفة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٦٤ـ عبدالدائم ، عبدالله (١٩٧٨م) : التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، طـ٣ .

٦٥ـ عبدالعال ، حسن ابراهيم (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) : مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية ، التربية والطبيعة الإنسانية ، عالم الكتب الرياض .

٦٦ـ عبدالعزيز ، صالح (١٩٧٨م) : التربية وطرق التدريس ، دار المعارف القاهرة ، ج٢ ، طـ١٠ .

٦٧ـ العبيد ، عبدالرحمن بن عبدالكريم (١٤٠٩هـ) : أصول المنهج الإسلامي ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض .

٦٨ـ عثمان ، سيد أحمد : من اعلام التربية العربية الإسلامية (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م) « برهان الدين الزرنوجي وكتابه تعليم المتعلم طريق التعلم » ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، م٣ ، الصفحات ١٧٥ ـ ١٩٨ .

٦٩ـ العسقلاني ، أحمد بن على بن محمد (د. ت) : الاصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٧٠ـ العصامي ، عبدالملك (د. ت) : سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي ، تحقيق قاسي درويش فخروا ، المطبعة السلفية ومكتبها ، جـ٣ ، ٤ مجلدات .

٧١ـ عطيه الله ، أحمد (١٩٨٠م) : الذاكرة والنسيان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، طـ٢ .

٧٢ـ على ، سيد أمير (١٩٥٦م) : تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة حسين نصار ، المطبعة العربية .

٧٣ـ غربال ، شفيق محمد (١٩٧٢م) : الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

٧٤ـ فائق ، أحمد ومحمود عبدالقادر (د. ت) : مدخل إلى علم النفس العام ، مكتبة الانجلو المصرية .

٧٥- فارمر ، ث (١٩٥٦م) : تاريخ الموسيقى العربية ، ترجمة حسين نصار ، المطبعة العربية .

٧٦- فرحان ، إسحاق أحمد (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) : التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ط١ .

٧٧- فرحان ، إسحاق وتوفيق مرعي (١٤٠٤هـ) : المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصره ، دار البشير ، الأردن ، عمان .

٧٨- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (د. ت) : بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ٦ مجلدات .

٧٩- القاضي ، أعتدال مصطفى (١٩٩٠م) : الفكر التربوي عند المودودي ، المجموعة الإعلامية لدار النشر ، جدة .

٨٠- القباني ، صبرى (١٩٦٦م) : الغذاء بلا دواء ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٨١- القرشي ، محي الدين أبو محمد عبدالقادر بن محمد (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) : الجواهر المضيئة في طبقات الحنيفية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ٥ مجلدات .

٨٢- القرضاوي ، يوسف (د. ت): الرسول والعلم ، دار الصحوة للنشر، القاهرة.

٨٣- القرطبي ، يوسف ابن عبدالبر (١٩٦٦م) : جامع بيان العلم وفضله ، الدار المصرية .

٨٤- قمبر ، محمود (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) : دراسات تراثيه في التربية الإسلامية، دار الثقافة ، قطر .

٨٥- كحالة ، عمر رضا (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م) : معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، مكتبة دار احياء التراث ، بيروت .

٨٦ـ الكيلاني ، ماجد عرسان (١٩٨٧م) : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان .

٨٧ـ اللكنوى ، محمد عبدالحي (د. ت) : الفوائد البهية في تراجم الحنيفية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٨٨ـ محجوب ، عباس (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م) : نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم ، دار بن كثير ، دمشق .

٨٩ـ محمد ، محمد محمود (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م) : علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق ، جدة .

٩٠ـ المرغيناني ، برهان الدين (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م) : الهداية في بداية المبتدىء ، الطبعة الأخيرة ، البابي الحلبي .

٩١ـ الميداني ، عبدالرحمن حسن (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) : ضوابط المعرفة وأصول الإستدلال والمناظرة ، دار القلم ، دمشق .

٩٢ـ الندوى ، ابوالحسن علي (١٤٠٥هـ) : السيرة النبوية ، دار الشروق ، بيروت .

٩٣ـ الندوي ، أبوالحسن على (د. ت) : نحو تربية إسلامية حره ، دار المعرفة ، بيروت ، طـ١ .

٩٤ـ الهاشمي ، عبدالحميد (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) : الرسول العربي والمربي ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض ، طـ٢ .

٩٥ـ الهاشمي ، محمد على (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) : شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، طـ٥ .

٩٦ـ همام ، طلعت (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) : كيف تدرس وتتفوق ؟ دراسة لكل الطلبة ، دار الفرقان ، عمال المطابع التعاونية ، عمان .

٩٧ـ يالجن ، مقداد (١٤٠٢هـ) : توجيه المتعلم في ضوء التفكير الإسلامي ، دار المريخ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .